

٧

سلسلة دراسات الفكر المحدثي

مسؤوليتنا في تهيئة العالم للمخلص

د . بتول نرين الدين

مركز براثا للدراسات والبحوث

Baratha Center for Studies and Research



مَسْئُولِيَّتِنَا فِي تَهْيِئَةِ الْعَالَمِ لِلْمُخْلِصِ
-د. بتول زين الدين-



◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٦ م - ١٤٤٧ هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

■ الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة ■

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

مسؤوليتنا في تهيئة العالم للمخلص

• د. بتول نرين الدين

دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، أستاذة مساعدة في كلية الإعلام
الجامعة اللبنانية



مركز بَرائث الدِّراسَاتِ وَالبَحْثِ
بِيرُوتِ - بَعْدَاؤِ

سلسلة دراسات الفكر المهدوي

تمثل فكرة المُخلَّص قضيةً محوريةً في الفكر الإنسانيِّ عامَّةً، وفي الفكر الإسلاميِّ على وجه الخصوص، وتأتي تحت عنوان القضية المهدوية. والجدير بالذكر أنَّ المهدوية في الفكر الإسلاميِّ ليست مجردَ نظرية ترتبط بالفقه السياسيِّ وطبيعة الحكم في الإسلام، بل لها أبعادٌ عقديَّةٌ وحضاريَّةٌ تتعلَّق بنظرية الاستخلاف الإلهيِّ في الأرض: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، وبالتكاليف الموجهة للإنسان في سعيه المُفترض نحو الكمال، وهي تكاليف تتعلَّق أولاً بتأمين الأرضية الصالحة لظهور المُخلَّص، وبالمواصفات التي ينبغي توافرها في الأنصار من أجل الظهور المبارك، وهي ترتبط ثانياً باستنفاد الأطاريح الخادعة والمضلِّلة التي تدعي أنها تقدِّم الحلول النهائيَّة للبشر ولتحقيق العدالة، ثم هي ثالثاً ترتبط بموضوع القيادة المرتبطة بالإمامة المعصومة بوصفها مرجعيةً أصيلةً في قيادة الحكومة البشرية نحو خلاصها وسعادتها.

من هنا، تأتي هذه السلسلة لتحاول تبيين إرhasات هذه الحكومة، وهيكليتها، وتعريفها لذاتها وواقعها، وطريقة تعاطيها مع التناقضات الأزلية في عالم التزاحم والصراعات، كما تقدِّم النظرية الإسلامية لفكرة المهدوية في أبعادها الاستراتيجية والسياسية والاجتماعية وحتى الفردية، بلغة معاصرة، وبنهجية علمية، تفتح الأفق العملية أمام التواقين إلى خلاص البشرية، وتقدِّم تصوراً عملياً عن «البديل»؛ لتثبت أنه ممكن، وواقعي، وقريب؛ وليعرف الممهدون تكليفهم في طريق التمهيد للظهور المبارك، وموقعهم من النظريات العلمية والأحداث السياسية، ويسير المهدويون على بصيرة؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةِ وَيْحِي مَنْ حَمَعَن بَيْتَهُ﴾.

مقدمة:

نقلَ لنا القرآن الكريمُ عددًا من البشاراتِ من الله تعالى، ولهذه البشاراتِ أثرٌ كبيرٌ في زيادةِ الأملِ وتعزيزِ الروحيةِ. لكنَّ البشارةَ الأهمَّ التي بشرَ بها الباري -تعالى- أوليائه في الدنيا هي بشارَةُ ظهورِ الإمامِ المهديِّ عليه السلام. ثمة شروطٌ لتحقق هذه البشارة، منها الشروطُ الإلهيةُ للظهور، والشروطُ والمقدّماتُ الإنسانيَّةُ التي تنقسمُ بدورها إلى قسمين: بعضها يرتبطُ بالقادة الذين يعملون تحت إمرة الإمامِ المهديِّ عليه السلام، وبعضها يرتبطُ بعمومِ الناس. وعليه، يمكنُ بحثُ الشروطِ والمقدّماتِ الإنسانيَّةِ للظهورِ من جهتين: الخواصِّ والعوامِّ.

إنَّ مجردَ الالتزامِ والإيمانِ والمحبةِ للإمام لا تكفي لنبوءةٍ في جمعِ الإمامِ المهديِّ عليه السلام. فإمامُ الزمانِ عليه السلام مُكلَّفٌ بإدارةِ العالمِ بأسره، وهو يحتاجُ إلى أنصارٍ يتميِّزون بالخبرةِ والكفاءةِ في مختلفِ المجالاتِ،

ويُشاركون في النهضة العالمية للإمام والثورة الكونية التي يقودها. سنسعى في هذا الكتاب لتقديم رؤية جديدة عن ظهور الإمام المهديّ عليه السلام، تركز على المسؤولية والدور المنوطان بالإنسانية حتى تتحقّق الثورة العالمية للعدالة. وقد حرّر هذا الكتاب في أربعة فصول:

- الأول: إجماعٌ على المخلّص.

- الثاني: خصائص المجتمع المهديّ.

- الثالث: اعتبارٌ من التاريخ الحسينيّ.

- الرابع: مسؤوليتنا في اقتراب الزمن المهديّ.

● توطئة

قلقُ (أميركا) واليهود من أبناء المستقبل

شاء الله أن أعملَ على إعدادِ هذا الكتاب بعد الحرب الأخيرة التي شتّها الصهاينةُ وأعاونهم على (لبنان) في أيلولَ "٢٠٢٤". وقد ازدادت الرغبةُ في تلك الفترة بالبحث والاطّلاع على أخبار آخر الزمان وعلامات الظهور، لا سيّما بعد اغتيال سماحة السيد حسن نصر الله قدّس سرّه.

وها أنا أضعُ اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب عقب تهديد صهيونيّ بعدوان جديد على الضاحية الجنوبية لبيروت في ليلة عيد الأضحى؛ تمكّنتُ خلال إخلاء بيتي من أخذ حاسوبي معي لإتمام هذا البحث.

ولعلّ النداءَ الوحيدَ الذي كان يتردّدُ على ألسنتنا ونحن نسمعُ الغاراتِ المتتاليةَ ونشاهدُ المباني تُسَفُّ: "يا بقیةَ الله أدرکنا، یا بقیةَ الله اغننا". ولكن هل يهتمُّ الصهاينةُ وأعاونهم ببقیةِ الله أو بصاحبِ الزمانِ عجل الله فرجه؟ قبلَ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ عملتُ على كتابٍ عن الأسيراتِ اللبنايَّاتِ ^(١) اللواتي أسرنَّ جنودَ الاحتلالِ (الإسرائيليِّ) وعملاؤه في المعتقلاتِ (الإسرائيليةِ) في فلسطينِ المحتلةِ وجنوبِ (لبنان) قبلَ تحريره على يدِ المقاومةِ الإسلاميَّةِ، تحديداً في معتقلِ (الخيام).

ولفتنني أثناءَ التحقيقِ مع الأسيراتِ وتعذيبهنَّ تردّدُ سؤالٍ من قبلِ الصهاينةِ وعملائهم عن الإمامِ المهديِّ وتهديدهم بقتله؛ لعلَّ هذا أكثرُ ما كانَ يخيفُهُم ^(٢). فخلالَ الحربِ الأخيرةِ كنتُ أطلعُ كتاباً عن الإمامِ المهديِّ؛ لفتني فيه فقراتٌ متفرقةٌ تؤكدُ اهتمامَ الصهاينةِ و(أميركا) بكلِّ ما له صلةٌ بالإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه.

١ - بتول زين الدين: سكوكع، دحنون، والزيتون.

٢ - تخبرنا سحر زعيتر ما حدث معها أثناءَ التحقيق: «قال لي أحدُ المحققين بتهكّم "هيذا المهدي تبعكن رح نمسكو عالاحجز!"، كان رأسي مغطى بالكيس، فلم أتمكن من رؤيته، فتابع يقول: سنقبض عليه ونقتله! كان يتكلّم بهدف السخرية واستعراض قدراته، ويقول أن إمامكم القادم لن يستطيع أن يفعل لكم شيئاً وأنهم سيصلون إليه وسيقتلوه، فقلت له إذا استطعتم الإمساك به فاقبضوا عليه! كانوا يعلمون أننا منتظرين للإمام المهدي المخلص. كانوا يعرفون كل شيء عن عقيدتنا". بتول زين الدين: سكوكع، دحنون، والزيتون، ص ١٤٠.

سأورد فقرات منه في ما يأتي:

منذ سنوات كُشِفَ النقابُ في (الولايات المتحدة) عن وجود مراكز دراسات تابعة للبتاغون والـCIA، متخصصة بما له صلة بالإمام المهدي عليه السلام.

ومن أهم أسباب إصرار الأميركيين على إقامة قواعد لهم في (السعودية) وفي منطقة شبه الجزيرة العربية وفي (العراق)، هي قراءاتهم للأخبار والنبوءات التي تقول لهم إنَّ القائد الذي ينتظره المسلمون سيخرج من (مكة)، وإنَّ أوَّلَ حركته ومواجهته ستكون في شبه الجزيرة العربية وفي (العراق).

فالأمركيون والإسرائيليون باتوا قلقين بشكلٍ جديٍّ على بقاء هذا الكيان الغاصب السرطاني الذي اسمه «(إسرائيل)». لذلك، عندما ظهر فشل حرب (صدام حسين) على (إيران)، احتلَّ جيشُ العدوِّ (الإسرائيلي) في العام «١٩٨٢» جنوبَ (لبنان)؛ وحينها قال رئيسُ حكومة العدوِّ (بيغن): إذا أرادَ (الخميني) أن يرسلَ قواتٍ إيرانيةً إلى فلسطينَ سندمرها في (الأردن)؛ أي في الطريق.

مع العلم أنَّ (إيران) كانت في طور التأسيس والإصلاح لما خلفه الشاه من مفاسد^(١)؛ فقد امتلأت قلوبهم رعباً عندما أعلن الانتصارُ الساحق لـ

١ - من كلمة سماحة السيّد حسن نصر الله في تاريخ ١٩/٥/٢٠١٧م، وردت في

كتاب قبسات مهديّة ص ٢٠.

(الإمام الخميني) قَدَسَتْهُ فِي (إيران) على الشاه؛ لأنَّ هذا الأمرَ موجودٌ أيضاً في نبوءاتهم وكتبهم، ولديهم أحاديث عن تلك الدولة التي سيقمها حفيدٌ من حفدة الأنبياء اسمه على اسم أحد أنبياء بني إسرائيل؛ وستكونُ انطلاقةُ هذا الانتصار هي بدايةُ النهايةِ لدولةِ ”(إسرائيل)“ في آخر الزمان. إذن، اليهودُ قلقون؛ إذ إنَّ وزيرَ الحرب (الإسرائيلي) تحدَّثَ بقلبي عن مستقبلِ دولةِ ”(إسرائيل)“، وكان يقولُ: أُقيمت لنا دولتان في التاريخ؛ دولةٌ في زمنِ داوودَ وسليمانَ (عليهما السلام)، ودولةٌ ما قبلَ الميلادِ بنحوِ ١٥٠ أو ١٦٠ سنةً؛ وكلاهما لم يصلأ إلى عمرِ الثمانين عاماً^(١).

فدولةُ ”(إسرائيل)“ الحاليةُّ باتت تقتربُ من عمرِ الثمانين؛ ولذلك هم خائفون وقلقون، خصوصاً أنَّ كلتا التجربتين السابقتين سقطتا بسببِ الاختلافاتِ والصراعاتِ الداخليَّةِ والاجتياحِ الخارجيِّ.^(٢) إنَّ مسألةَ الإمامِ المهديِّ هي نقطةُ أملِ المستضعفين، ونقطةُ خوفٍ ورُعبٍ لكلِّ المستكبرينَ والطواغيت؛ لذلك هم لا يحبُّون أن يُقالَ أمامهم إنَّه في يومٍ من الأيام سيأتي شخصٌ يزيلُ دولةَ الظلمِ ويقيمُ دولةَ العدلِ الإلهيِّ، بل يخلقُ لهم حالةَ رُعبٍ أيضاً، لذلك يحاولون تأجيلَ ذلك. نقرأ في كتبنا أنَّ مجاهدنا سيدخلون المسجدَ كما دخلوه أوَّلَ مرَّةٍ،

١ - من كلمة سماحة السيّد حسن نصر الله في تاريخ ٢٠٢٠/٤/٧ م. وردت في

كتاب قبسات مهدويّة ص ٣٣

٢ - الآن وأنا أعدُّ هذه الورقة البحثية في أيار ٢٠٢٥، بلغ عمرها ٧٧ عام

وسيقومون الصلاة هناك، وسيقطعون جذور هذا الكيان الغاصب وهذه الغدة السرطانية، وهم يقرؤون الشيء نفسه في كتبهم؛ من قبيل أن دولتهم التي ستقوم في آخر الزمان ستزول على يد حفيد من أحفاد الأنبياء عليهم السلام.

إذن، هم يقاتلون من موقع القلق واليأس، ونحن نقاتل من موقع الطمأنينة والأمل، وهم يشكّلون الكثرة والقوة الطاغية المرعوبة الخائفة من المستقبل، ونحن القلة المؤمنة المطمئنة للمستقبل.

والثقافة المهدوية والفكر المهدوي وقراءة المستقبل من خلالهما هي وحدها التي تستطيع أن ترسم صورة هذين الفريقين وجبهتهما، ومن خلال هذا الفكر نستطيع أن نهزم هذا العدو.^(١)

١ - راجع: السيد حسن نصر الله: كتاب قيسات مهدوية (بتصرف).



الفصل الأول: إجماع على المخلص

نحاولُ في هذا الفصلِ بيانَ أنَّ القضيةَ المهدويَّةَ هي من القضايا المركزيةِ في الفكرِ الإسلاميِّ بل في الفكرِ الدينيِّ عموماً.

المبحثُ الأوَّلُ: المخلصُ وعدُّ الله وإجماعُ كلِّ الدياناتِ
يُعدُّ الحديثُ في مقدِّماتِ الظهورِ ومسؤوليَّتينا ودورنا لتوفيرِ شروطه من أهمِّ مواضعِ الأبحاثِ المهدويَّةِ، وهو الذي يُشكِّلُ ضرورةً لكلِّ مُنتظريِ إمامِ الزمانِ عليه السلام.

لكن، وقبلَ الشروعِ في البحثِ، نحتاجُ إلى ذكرِ بعضِ المقدِّماتِ التي سنعمدُ عليها في بيانِ المطالبِ التي ستعرضُ إليها.

أولاً: الأرضُ يرثها عبادي الصالحون

إنَّ الرواياتِ التي نقلها الشيعةُ وأهلُ السُّنَّةِ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآله في الإمامِ المهديِّ عليه السلام تفوق حدَّ التواترِ، بل إنَّ الرواياتِ التي نقلها أهلُ السُّنَّةِ

وحدها تبلغ حدّ التواتر، باعتراف جماعة من علمائهم^(١). وقد اعتبر جماعة منهم أنّ الاعتقاد بالإمام الغائب ممّا اتّفقت عليه الفرق الإسلاميّة جميعاً^(٢)، وألّف بعضهم كتباً ومؤلّفات عن الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف^(٣)، وعلامات ظهوره.

إنّ أصل المهدويّة هو محلّ اتّفاق جميع المسلمين. وفي عقائد الأديان الأخرى يوجد - أيضاً - انتظار المنجّي في نهاية الزمان. ففي الديانات كلّها ثمة علامات وظواهر تُبشّر بتحقيق الوعد الإلهي؛ ولذلك كان الناس طوال التاريخ يبحثون عن هذه العلامات والظواهر والإرهاصات. إنّ البشارة والوعد بإقامة هذه الحكومة الإلهيّة العالميّة موضع اتّفاق كلّ الديانات السماويّة. وهناك كثير من الشواهد القرآنيّة حول هذه الفكرة، وقد ورد هذا الوعد الإلهي في عدّة آيات، وممّا لا يقبل الشكّ أنّه سيأتي اليوم الذي يتحقّق فيه هذا الوعد الإلهي.

١ - ابن حجر العسقلاني: الصواعق المحرقة، ص ٩٩. مؤمن الشبلنجي: نور الأبصار، ص ١٥٥. صلاح الدين الشامي: إسعاف الراغبين، ص ١٤٠.

٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٣٥.

٣ - أمثال كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) تأليف الحافظ (محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي) الذي عاش في القرن السابع، وكتاب (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) تأليف (المتقي الهندي) الذي عاش في القرن العاشر.

ثانياً: من هم المستضعفون ومن هم المستكبرون؟!
 ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]

جاءت الأفعال في هاتين الآيتين بصيغة المضارع «تُرِيدُ، وَنَمُنَّ، وَنَجْعَلَهُمْ، وَنَمُكِّنَ وَتُرِي»؛ ما يدل على استمرار الإرادة الإلهية في رفعة المستضعفين، وغلبتهم، والإطاحة بالطغاة، وهزيمتهم. وبعبارة أخرى، تبين هاتان الآيتان قانوناً كلياً وسُنَّةَ إلهية^(١)؛ إذ استعرضتا نموذجاً عملياً حصل مع بني إسرائيل دون أن يعني ذلك انحصار هذه السُنَّة بهم.^(٢)
 إِنَّ الْآيَةَ تَوْضِحُ قَانُونًا كَلِيًّا لِجَمِيعِ الْعُصُورِ وَالْقُرُونِ وَلِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَالْأَقْوَامِ؛ حيث تقول: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. فهي بشارة في صدد انتصار الحق على الباطل، والإيمان على الكفر. وهي بشارة لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور. والمثل الأكبر والأوسع هو ظهور حكومة الحق والعدالة على جميع

١ - كذلك بذكر النبي موسى ﷺ لهذه الآية: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] بين قانوناً عاماً وسُنَّةَ إلهية، هي أن الله هو مالك الأرض الحقيقي، يستخلف فيها من يشاء والعاقبة للمتقين.

وجه البسيطة - والكرة الأرضية - على يد (المهدي) أرواحنا له الفداء.
ونقرأ عن (أهل البيت) عليهم السلام في تفسير هذه الآية أنها إشارة إلى هذا
الظهور العظيم.

فقد ورد في (نهج البلاغة) عن (الإمام علي) عليه السلام قوله: «لَتَعَطِفَنَّ
الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَكْدِهَا»، وتلا عقيب
ذلك: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

وفي حديث آخر نقرأ عنه عليه السلام في تفسير الآية المتقدمة قوله: «هُم أَلُّ
مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يبعثُ اللهُ مَهْدِيَهُمْ بَعْدَ جَهْدِهِمْ فَيُعِزُّهُمْ وَيُذِلُّ عَدُوَّهُمْ»^(٢).
ونقرأ في حديث آخر عن (الإمام علي) بن الحسين زين العابدين عليه السلام
قوله: «والذي بعث محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا، إنَّ الأبرياء منا (أهل
البيت) وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإنَّ عدونا وأشياهم بمنزلة
فرعون وأشياعه»^(٣)؛ (أي سننتصر أخيرًا وينهزم أعداؤنا وتعود حكومة
العدل والحق لنا).

المستضعف هو من لديه قوى بالفعل والقوة، ولكنه واقف تحت ضغوط
الظلمة والجبابرة. وبرغم أنه مكبل بالأغلال في يديه ورجليه، فإنه غير
ساكت ولا يستسلم، ويسعى دائماً لتحطيم الأغلال ونيل الحرية،

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٩.

٢ - محمد بن الحسن الطوسي: الغيبة، ج ١، ص ٢٠٨.

٣ - الفضل بن الحسن الطبرسي: تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٤١٤.

■ ١٧ الفصل الأول - المَبْحَثُ الأوَّل

والتصدّي للجبارةِ والمستكبرين، ونُصرةِ مبدأِ العدلِ والحقِّ.
فاللهُ - سبحانه - وعدَ أمثال هؤلاءِ باليمنِّ وبالحكومةِ على الأرض، لا
الأفرادَ الجبناءَ الذين لا يجروُن على أدنى اعتراض؛ فكيف إذا حمي
الوطيسُ وحنَّ أو أنَّ التضحيةِ والفداء؟!
وبالطبع فإنَّ المستضعفينَ أنواعٌ؛ فهناكُ مستضعفٌ فكريّ، وهناكُ
مستضعفٌ ثقافيّ، وهناكُ مستضعفٌ اقتصاديّ، وآخرُ مستضعفٌ
سياسيّ، أو خُلقيّ. وأكثرُ ما أكَّدَ عليه القرآنُ هو الاستضعافُ السياسيُّ
والخُلقيّ.

وما من شكٍّ أنَّ المستكبرينَ الجبارةَ يسعونَ أبداً أن يجروا قرايبيهم إلى
الاستضعافِ الفكريِّ والثقافيِّ، ثمَّ إلى الاستضعافِ الاقتصاديِّ؛ لئلاَّ
تبقى لهم قوَّةٌ ولا قدرة، ولئلاَّ يفكروا بالنهوضِ وتوليِّ زمامِ الحكومةِ.
وفي القرآنِ المجيدِ وردَ الكلامُ عن المستضعفينَ في خمسةِ موارد، وعلى
العمومِ فإنَّ هذا الكلامَ يقصدُ المؤمنينَ الذين يرزحون تحتِ ضغوطِ
الجبارةِ. وعلى مدى التاريخِ نجدُ أسلوبَ الجبارةِ على هذه الشاكلة؛
حيثُ يسعونَ لتعطيلِ القدراتِ والقوى بأيِّ وسيلةٍ كانت. فحيثُ لم
يستطيعوا قتلَ "الرجال"، يلجؤونَ إلى قتلِ "الرجولة"، ويذوَّبون روحَ
الشهامةِ بنشرِ الفسادِ، والمخدراتِ، والفحشاءِ، والمنكرِ، والانحرافِ
الجنسيِّ، وكثرةِ الشرابِ والقمارِ، ليستطيعوا براحةٍ بالٍ واطمئنانٍ خاطرٍ
أن يُواصلوا حكمهم وحكومتهم.

ولكن أنبياء الله، وخاصةً نبي الإسلام ﷺ، كانوا يسعون لإيقاظ قوى الفتوة النائمة، ويشحنوا قدرات الشباب الهائلة، ويحرروهم من أسر الذلّة. وكانوا يعلمون حتى النساء دروساً من الشجاعة والشهامة، ليقفن في صفوف الرجال ضدّ المستكبرين.^(١)

ثالثاً: ثلاث بشائر..

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] تقول الآية لنا إنّ الله - سبحانه وتعالى - كتب في كتب الأنبياء السابقين هذا الوعد، وأكد هذا الوعد في القرآن، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

«زبور» مفرد «زبور»، مثل «رسول» و«رسل»، وهي في اللغة بمعنى الكتابات القويّة والمُحكّمة، ويُقصدُ بها في القرآن الكريم «زبور» النبي داوود عليه السلام^(٢).

كما تعني كلمة (الزبور) في اللغة العربيّة (الكتاب): ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، لكن وبقرينة الآية: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص.ص ١٧٥-١٧٨.

٢ - حسن زمني: عصر الظهور في ضوء القرآن الكريم، ص ٧٤.

[النساء: ١٦٣] يظهر أنَّ المرادَ هنا في الآيةِ (الكتابُ الخاصُّ) بالنبيِّ داوودَ (عليه السلام) الذي يشتملُ على مجموعةٍ من مناجاته وأدعيته ووصاياه. وقد نزلَ هذا الكتابُ بعد نزولِ (التوراة) التي عبَّرتَ عنها هذه الآيةُ بالذِّكْر، وهو ما جاءَ أيضًا في الآيةِ "٨٤" من السورةِ نفسها؛ إذ عبَّرتَ عن (التوراة) بالذِّكْر أيضًا.^(١)

واحتملُ بعضُ المفسِّرينَ أن يكونَ المرادُ من (الزَّبور) هنا كلُّ كتبِ الأنبياءِ السَّابقين^(٢)؛ أي إننا كتبنا في كلِّ كتبِ الأنبياءِ السَّابقين مضافًا إلى القرآنِ بأنَّ الصَّالحينَ سيرثونَ الأرضَ جميعًا.

إذا لاحظنا إضافةَ (العباد) إلى الله ستتضحُ مسألةُ إيمانِ هؤلاء وتوحيدهم. وبملاحظة كلمة (الصَّالحين) التي لها معنى واسعٌ، فستخطرُ على الذَّهنِ كلُّ المؤهَّلاتِ: الأهلِيَّةُ من ناحيةِ التَّقوى، والعلمُ والوعى، ومن جهةِ القدرةِ والقوَّة، ومن جانبِ التدبيرِ والتنظيمِ والإدراكِ الاجتماعيِّ.

عندما يهيئُ العبادُ المؤمنونَ هذه المؤهَّلاتِ والأرضياتِ لأنفسِهِم، فإنَّ اللهَ - سبحانه - يساعدهم ويعينهم ليمرِّغوا أنوفَ المستكبرينَ في الترابِ، ويقطعوا أيديهم الملوثةَ، فلا يحكمونَ أرضَهُم بعدُ، بل تكونُ

١ - حسن ملايي: شروط الظهور المبارك في القرآن الكريم، ص ١٤.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٢٥٦.

للمستضعفين فيرثونها.

فبناءً على ذلك فإن مجرد كونهم مستضعفين لا يدل على الانتصار على الأعداء وحكم الأرض، بل إن الإيمان لازم من جهة، واكتساب المؤهلات من جهة أخرى، وما دام مستضعفو الأرض لم يُحيوا هذين الأصلين فلن يصلوا إلى وراثتها وحكمها. ولذلك فإن الآية التالية تقول من باب التأكيد المشدد: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾^(١) [الأنبياء: ١٠٦] جاء في تفسير القمي في ذيل هذه الآية: «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» قال: «القائم وأصحابه». وقد خاطب -تعالى- في موضع آخر المسلمين بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

هذه الآية تشمل المسلمين الأوائل، كما أن حكومة الإمام المهدي عليه السلام مصداق لها؛ إذ يتفق المسلمون كافة من شيعة وستة على أن الإمام المهدي عليه السلام «يملا الله به الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢).

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٢٥٥.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ١، ص ٣٤١.

■ الفصل الأول - المَبْحَثُ الأوَّل ٢١

فكما أنَّ الدُّنيا عاشت مثل هذا اليوم، فإنَّها ستري يوماً يمتلئُ العالمُ كلَّهُ في جميعِ آفاقه بنورِ العدلِ، ولا يكون فيه أيُّ مكانٍ لا يمتلئُ بالقسطِ . وهناك لن يكون أيُّ مكانٍ يحكمه الظُّلمُ أو يكون فيه البشر تحت وطأة الظُّلم وجورِ الحكوماتِ وتسلُّطِ المقتدرين وآلامِ التَّمييزِ العنصريِّ . أي إنَّ هذا الوضعُ الَّذي يهيمن على العالمِ اليوم - وقد كان يعمُّ هذه الدُّنيا في يومٍ من الأيام - سوف يتبدَّل إلى عموميَّةِ العدلِ .

وهو المقصود في هذا الحديثِ الَّذي تناقله جميعُ المسلمين عن الرَّسولِ ﷺ: "لو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتَّى يلي رجلٌ من عترتي، اسمه اسمي، يملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً كما ملئتَ ظلماً وجوراً"^(١) .

وممَّا يجدر ذكره هنا قولُ (العلامةِ الطبرسي) في تفسيرِ هذه الآية: «روي عن أهل بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ في هذه الآية: إنها في المهدي من آلِ محمَّد»^(٢) .

وذكر (تفسير روح المعاني) وتفاسيرٌ عديدةٌ لمؤلِّفين شيعيةً عن الإمام السَّجاد (عليه السلام) في تفسيرِ الآية موضعِ البحثِ أنَّه قال: «هم والله شيعتنا

١ - احتوى كتاب «منتخب الأثر» على مائة وثلاثة وعشرين حديثاً بهذا الصدد، من مصادر إسلامية مختلفة خاصة السنية منها. للاستزادة يراجع هذا الكتاب في صفحة ٢٤٧، وما يليها.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١١، ص ١٥٢.

- أهل البيت - يفعلُ اللهُ ذلكَ بهم على يدي رجلٍ منّا، وهو مهديٌّ هذه الأمة، يملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً كما ملئتَ ظلماً وجوراً، وهو الذي قالَ رسولُ اللهِ ﷺ فيه: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ...^(١)

إنَّ فلسفة المهدويَّة فلسفة عالميَّة كبرى، مرتبطة بكون الإسلام ديناً عالمياً، وبأنَّ التشييعَ بمعناه الواقعيَّ أمر عالميٌّ، فيجب أن نتلقَى ذلك باعتبارها فلسفة عالميَّة كبرى.^(٢)

رابعاً: الودعاء يرثون الأرض

وبالعودة إلى كتاب العهد القديم والعهد الجديد الموجود الآن، والمتبني عند اليهود والمسيحيين، في المزمور رقم ٣٧ مثلاً من مزامير داوود في الفقرة ١١ ورد: «أما الودعاء^(٣) فيرثون الأرضَ، ويتلذذونَ في كثرة السلامة» [الكتاب المقدس: الفقرة ١١]؛ أي أنَّ السلامَ والسلامةَ سيعمَّانِ البشريَّةَ والأرضَ، والناسُ سيتلذذونَ من كثرة السلام.

وفي الفقرة ٢٢ يقول: «لأنَّ المباركينَ منه - من الله - يرثونَ الأرضَ والملعونينَ منه يُقَطَّعونَ».

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١١، ص.ص

٢ - مجموعة مؤلفين: العدلُ المُنتظرُ، مقالات مهدويَّة، ص ١٥٥.

٣ - ودعاء يعني وادع أو وديع؛ أي الناس الطيبون

■ ٢٣ الفصل الأول - المَبْحَثُ الأوَّل

والملعونون هم الفراعنة والنامردة، والطغاة، والمستبدون، والمتجبرون، والمتوحشون، فلا مكان لهم في مستقبل البشرية.

وفي فقرة ٢٩ يذكر: «الصدّيقون يرثون الأرض، ويسكنونها إلى الأبد». ونقرأ في المزمور ٣٧/ جملة ٩: «... لأنّ عاملي الشرّ يقطعون والذين ينتظرون الربّ هم يرثون الأرض، بعد قليل لا يكون الشرير...».

وكذلك في نفس المزمور ٣٧/ جملة ٢٧، يلاحظ هذا الموضوع بتعبير آخر: «لأنّ المتبركين بالله سيرثون الأرض، أما الملعونون فسيفقطع أثرهم...».

وجاء في الجملة ١٨ من المزمور نفسه أعلاه: «إنّ الله يعلم أيّام الصالحين، وسيكون ميراثهم أبدياً»^(١).

إذن، هذا الوعد الإلهي ثابت في الكتب السماوية ومتفق عليه.

نلاحظ هنا استخدام القرآن الكريم صفات: «الصالحون، الذين استضعفوا في الأرض، والذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات» وأنّ «العاقبة للمتقين»، إنّ عنوان «الصالحين» الذي جاء في القرآن، ورد بنفس هذا التعبير في العهد القديم والعهد الجديد: «الصدّيقون، والودعاء، والمباركين منه»، مضافاً إلى ورود تعابير أخرى، كالمباركين، والمتوكّلين، والمتواضعين،

١ - نقلنا هذه الجمل عموماً عن الترجمة الفارسية للكتب العهد العتيق المنشورة سنة ١٨٧٨ تحت إشراف الكنيسة المعروفة ب مجمع الكتب البريطانية المقدسة للخارجيين).

أو ما هو قريبٌ من هذه المعاني في جملٍ أخرى.
نعم، يتفق المسلمون مع المسيحيين أنّ النهاية ستكون لصالح الطيّين،
كما يتفقون على انتظار السيّد المسيح (عليه السلام)، ولكنهم أيضاً يؤمنون
بظهور رجلٍ قائدٍ ومصلحٍ.

ومن الروايات العديدة التي رووها عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: "لو لم يبق
من الدهر إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت
جوراً".^(١)

إنّ هذه التعبيرات دليلٌ على عمومِ حكومة الصالحين، وتتطابق تماماً
مع أحاديث قيام المهدي (عليه السلام).

لكنّ التحليلات الفلسفيّة تنتهي إلى أنّ هذه حقيقة واقعيّة، وبناءً على
هذا فإنّ جملة أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون قبل أن تكون وعداً
إلهياً، فإنّها تعتبر قانوناً تكوينياً.

إنّ نظام الخلق سيكون دليلاً واضحاً على قبول نظام اجتماعي صحيح
في المستقبل، في عالم الإنسانيّة، وهذا هو الذي يُستفاد من الآية مورد
البحث، والأحاديث المرتبطة بقيام المصلح العالمي العظيم، المهديّ
الموعود.^(٢)

١ - محمد بن عيسى الترمذي: صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٤٦.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٢٦٢.

إنَّ هدفَ الأنبياءِ عليهم السلام إقامة العدلِ والقسطِ في الأرضِ كُلِّها، وعدمُ تمكّنِ الأنبياءِ من تحقيقِ هذا الهدفِ لا يعني قصوراً في تعاليمهم ومناهجهم وأساليبهم أو تقصيراً منهم، بل لعدم توفّر الظروفِ الموضوعيةِ التي سنوضحها في النقطةِ الآتية.

وحَتَّى اليومِ الَّذِي يجري فيه إعدادُ البشريّةِ لتقبّلِ الحكومةِ الإلهيةِ العالميّةِ، وامتلاكِ القدرةِ على إقامتها، حينئذٍ سيظهرُ الإمامُ بأمرٍ من الله تبارك وتعالى.

قد يحصلُ ذلكَ كلّهُ في ليلةٍ واحدةٍ، وبالتالي، يصبحُ واضحاً معنى أن نترقّبَ ونتنظرَ ظهورَ إمامنا، وأن ندعوَ وأن نحضّرَ ونمهّدَ لذلك، وأن نتوقّعَ هذا الأمرَ صباحاً مساءً.

خامساً: لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

توضّح بعضُ الآياتِ القرآنيةِ سببَ عدمِ تمكّنِ الأنبياءِ من إقامة العدلِ والقسطِ في الأرضِ كُلِّها، من بينها الآيةُ الكريمةُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة

المائدة: ٦٦]

تشير هذه الآيةُ إلى الأثر العميق الذي يتركه الإيمانُ والتقوى - في الحياةِ الدنيويةِ للإنسانِ، فتؤكدُ أنّ أهلَ الكتابِ لو طبقوا التوراةَ والإنجيلَ

وجعلوهما منهاجاً لحياتهم وعملوا لكل ما نزل عليهم من ربهم، سواءً في الكتب السماوية السابقة أو في القرآن، دون تمييز أو تطرف لغمرتهم النعم الإلهية من السماء والأرض.

تؤكد الآية المبدأ الأساس القائل إن اتباع التعاليم السماوية التي جاء بها الأنبياء، ليس لإعمار الحياة الآخرة التي تأتي بعد الموت فحسب، بل إن لها - أيضاً - انعكاسات واسعة على الحياة الدنيوية المادية للإنسان، فهي تقوي الجماعات وتعزز صفوفها وتكثف طاقاتها، وتغدق عليها النعيم وتضاعف إمكانياتها وتضمن لها الحياة السعيدة المقتترنة بالأمن والاستقرار.

ولو ألقينا نظرة على الثروات الطائلة والطاقات البشرية الهائلة التي تهدر اليوم في عالم الإنسان نتيجة الانحراف عن هذه التعاليم، وفي صنع وتكديس أسلحة فتاكة، وفي صراعات لا مبرر لها.

إن العقول المفكرة التي تسعى وتعمل جاهدة - اليوم - لإكمال وتوسيع إنتاج الأسلحة الحربية، ولتوسيع بقعة النزاعات الاستعمارية، إنما تشكل جزءاً مهماً من الطاقات البشرية الخلاقة التي طالما احتاجها المجتمع البشري لرفع احتياجاته، وكم سيصبح وجه الدنيا جميلاً وجذاباً لو كانت كل هذه الطاقات تستغل في سبيل الإعمار!

وجدير بالانتباه - هنا أيضاً - إلى أن عبارتي «من فوقهم» و«من تحت أرجلهم» الواردتان في الآية الأخيرة، معناهما أن نعم السماء والأرض

ستغمر هؤلاء المؤمنين، كما يحتمل أن تكونا كنايةً عن النعم بصورة عامة.^(١)

ومن بينها أيضاً هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦] و«البركات» جمع «بركة»، وهذه الكلمة تعني في الأصل «الثبات» والاستقرار، ويُطلق على كلِّ نعمة وموهبة تبقى ولا تزول، في مقابل الموجودات العارضة عن البركة، والسريعة الفناء والزوال، والخالية عن الأثر.

والملفت للنظر أنّ فائدة التقوى والإيمان لا تقتصر على نزول البركات الإلهية، بل هما سببٌ في أن يصرف الإنسان ما لديه في المصارف اللازمة الصحيحة.

ففي المثل نلاحظ اليوم أنّ قسماً كبيراً من الطاقات الإنسانية، والمصادر الاقتصادية تُصرف في سبيل سباق التسلح وصنع الأسلحة المدمرة. وبذلك تنعدم البركة فيها، ولا تُثمر سوى الدمار والخراب، ولكن المجتمعات البشرية إذا تحلّت بالتقوى والإيمان، فإنّ هذه المواهب الإلهية سيكون لها وضعٌ آخر، ومن الطبيعي أن تبقى آثارها وتخلد،

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٤، ص.ص

وتكون مصداقًا لكلمة البركات.

الآيات الحاضرة تُبين النتائج بصورة أكثر وضوحًا فتقول: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، أي لو أنهم سلكوا سبيل الإيمان والتقوى، بدل الطغيان والتمرد وتكذيب آيات الله والظلم والفساد، لم يتخلصوا من غضب الله وعقوبته فسُحب، بل لفتحنا عليهم أبواب السماء والأرض.

ولكن للأسف تركوا الصراط المستقيم الذي هو طريق السعادة والرفاه والأمن، وكذبوا الأنبياء، وتجاهلوا برامجهم الإصلاحية فعاقبناهم بسبب أعمالهم.

قد يتساءل بعضٌ لماذا نشاهد الشعوب غير المؤمنة ترفل في الرخاء والرفاه، في حين يعيش جماعةٌ من أهل الإيمان بعسر ومشقة؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتضح بملاحظة نقطتين: إن تصور أن الشعوب غير المؤمنة الفاقدة للتقوى ترفل في النعمة والرخاء وتغرق في السعادة هو تصور خاطئ ينبع من اشتباه أكبر، وهو اعتبار الثروة دليلًا على السعادة.

إن الناس يتصورون - عادةً - أن كل شعب امتلك صناعةً أكثر تقدمًا، وثروةً أكبر، كان أسعد من غيره، في حين لو تسنى لنا أن ننفذ إلى أعماق هذه المجتمعات ونلاحظ الآلام التي تحطم روح هذه الشعوب وجسمها عن كثر، فسوف نسلّم أن أكثر تلك الشعوب هي من أشقى

سكان الأرض.

هذا بغضّ النظر عن أنّ هذا التقدّم النسبيّ إنما هو نتيجة استخدامهم لأصول ومبادئ مثل السعي والاجتهاد، والنظم والشعور بالمسؤولية التي هي جزءٌ من تعاليم الأنبياء، ومن صلب توجيهااتهم.

قبل سنوات - مثلاً - نشرت الجرائد والصحف أنّه حدث في نيويورك حادثٌ جدٌ عجيبٌ على أثر انقطاع فجائيّ للتيار الكهربائي، وذلك الحادثُ هو أنّ كثيراً من الناس هاجموا المحلات والمخازن وسرقوا كلّ ما فيها بحيث أنّ ثلاثة آلافٍ من المغيرين على المحلات اعتقلوا بواسطة البوليس.

إنّ من المسلّم أنّ عدد المغيرين - في الواقع - أكثرُ بأضعاف من هذا العدد، وهذا العددُ هم الذين لم يمكنهم الفرار والهرب والنجاة من قبضة البوليس، كما أنّه من المسلّم أنّ المغيرين لم يكونوا سرّاقاً محترفين، هيأوا أنفسهم من قبل لمثل هذه الإغارة العمومية، لأنّ الحادثَةَ المذكورة كانت حادثَةً فجائيةً.

من هذا نستنتج أنّه مع حالة انقطاع عابر للتيار الكهربائي، يتحول عشرات الآلاف من سكان مدينة ثرية إلى لصّوص وسراق، إنّ هذا لا يدلّ على الانحطاط الخلقيّ لدى شعب من الشعوب فحسب، بل يدلّ على فقدان الأمن الاجتماعيّ الشديد أيضاً.

أمّا في العلاقة مع النبات والثروات الطبيعية والحيوانية، فعن الإمام

عليّ (عليه السلام) - في عهده إلى مالك الأشر - : «وتفقد أمرَ الخراج بما يصلح أهله؛ فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأنّ الناس كلّهم عيالٌ على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرضِ أبلغَ من نظرك في استجلابِ الخراج؛ لأنّ ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغيرِ عمارةٍ أحرَبَ البلادَ، وأهلك العبادَ، ولم يستقم أمرُهُ إلا قليلاً».

«وليكن نظرك في عمارة الأرضِ أبلغَ من نظرك في استجلابِ الخراج»، قولٌ يلخّص نظرة الإسلامِ للأرضِ، أما في الغربِ، تجري استنزافُ التربةِ حتى التصحّرُ أي تصبح غيرَ قابلةٍ للاستخدامِ، فالاستهلاكُ المفرطُ للتربةِ في الزراعاتِ في الغربِ لأجل السيطرةِ على الأسواقِ أو إنتاجِ الوقودِ أو إنتاجِ ما لا فائدةَ أساس له، أو في الصناعاتِ غيرِ اللازمة، والذي يجري في معظمِ مناطقِ العالمِ، يؤدّي إلى إتلافِ التربةِ وإلى نوعٍ من التصحّرِ.

كذلك يجري القضاءُ على التربةِ التي تحيط بمناجمِ الفحمِ والحديدِ والذهبِ والعناصرِ الكيميائية التي تستخدم في الصناعاتِ الحديثة^(١). ويستخدم كل مواطن عادي في البلاد المتحضرة من الطاقة في ٦ أشهر،

١ - عباس نور الدين: كيف سيتغيّر العالم؟، ص ١٥.

■ ٣١ - الفصل الأول - المَبْحَثُ الثاني

ما يستهلكه المواطن العادي في الدول النامية على مدى الحياة.^(١) ويجري تسميم النسور الآكلة للجيف بدواء الديكلوفيناك.^(٢) ما يؤدي إلى انتشار أوبئة وأمراض جديدة.

المبحث الثاني: المعنى الحقيقي لانتظار الفرج: ليس سكوناً!

الانتظارُ يعني عدم الاقتناع والقبول بالوضع الموجود لحياة البشر، وهو السعي من أجل الوصول إلى الوضع المطلوب. بناءً على ذلك، إن مسألة انتظار حكومة الحق والعدل - حكومة الإمام المهدي عليه السلام، وظهور المصلح العالمي مركبة في الواقع من عنصرين: عنصر نفي، وعنصر إثبات؛ عنصر النفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يعاينه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن. وإذا قُدر لهذين العنصرين أن يحلّا في روح الإنسان، فسيكونان مدعاةً إلى نوعين من الأعمال، وهذان النوعان هما:

■ ترك كل شكل من أشكال التعاون مع أسباب الظلم والفساد، بل عليه أن يقاومها.

١ - عباس نور الدين: كيف سيتغيّر العالم؟، ص ٢٢.

٢ - عباس نور الدين: كيف سيتغيّر العالم؟، ص ٢٦.

■ بناء الشخصية، والتحرك الذاتي، وتهيئة الاستعدادات الجسميّة والروحيّة والماديّة والمعنويّة لظهور تلك الحكومة العالميّة الإنسانيّة.

هنا نعرف لِمَ عدّت الروايات المنتظرين بحقّ بمنزلة مَنْ كان مع القائم عليه السلام تحت فسطاطه، أو تحت لوائه، أو كَمَن يقاتل في سبيل الله بين يديه أو كالمستشهد بين يديه، أو كالمشحط بدمه! إلخ...^(١)

ومن المسلمّ به أنّ هذا الوضع المطلوب سوف يتحقّق على يد وليّ الله المقنطرة الحجة بن الحسن المهديّ، صاحب الزمان عليه السلام.

والفرجُ يعني الشقّ والفتح، فالمسلمُ يتعلّم من خلال درسِ انتظارِ الفرجِ أنّه لا يوجد طريقٌ مسدودٌ في حياةِ البشرِ ممّا لا يمكن أن يُفتح، وأنّه لا يجب عليه أن ييأسَ ويُحبطَ ويجلسَ ساكناً ويقولَ لا يمكن أن نعمل شيئاً؛ فعندما يظهر في نهايةِ مطافِ حياةِ البشرِ ومقابلَ كلّ هذه الحركاتِ الظالمةِ والجائرة، عندما تظهر شمسُ الفرجِ، فهذا يعني أنّه في كلّ هذه العقباتِ والسدودِ الموجودةِ في الحياةِ الآن، هناك فرجٌ متوقّعٌ ومحلّ انتظار.

لهذا، عدّ انتظارُ الفرجِ من أفضلِ الأعمالِ، ويُعلّم من ذلك أنّ الانتظارَ هو عملٌ لا بطلالةَ فيه. فلا ينبغي الاشتباهُ والتصوّرُ أنّ الانتظارَ يعني أن

■ ٣٣ الفصل الأول - المبحث الثاني

نضع يداً فوق يدٍ ونبقى منتظرين حتى يحدث أمرٌ ما. الانتظارُ عملٌ وتهيؤٌ وباعثٌ على الاندفاعِ والحماسِ في القلبِ والباطنِ، وهو نشاطٌ وتحركٌ وتجددٌ في كلِّ المجالات. أي أنه لا ينبغي أن تياسَ الشعوبُ والأُممُ من الفرجِ في أيِّ وقتٍ من الأوقات. ^(١)

يجب أن نعدَّ أنفسنا جنوداً مستعدين لتلك الظروفِ والشرائطِ، ونجاهد في هذا المجال. لا يعني انتظارُ الفرجِ أن يجلسَ الإنسانُ ولا يفعل شيئاً، ولا ينهضَ لأيِّ إصلاحٍ، بل يمَنِّي نفسه بأنه منتظرٌ لإمام الزمانِ عليه السلام، فهذا ليس انتظاراً.

لقد أدرك المجتمعُ البشريُّ اليوم من خلال التقدّمِ الفكريِّ والمدنيّةِ والمعرفةِ كثيراً من تعاليمِ الأنبياء - التي لم تكن قابلةً للإدراك من قبل البشر قبل عشرات القرون من هذا - فقضيّةُ العدالةِ هذه، وقضيّةُ الحرّيّةِ، وكرامةِ الإنسانِ، وهذه الألفاظُ الرائجةُ في العالمِ اليوم، هي كلماتُ الأنبياءِ.

أي إنّ الناسَ عندما يرون طواغيتَ العالمِ مشغولين بالتهبِ والسلبِ والإفسادِ والاعتداءِ على حقوقِ الناسِ، لا ينبغي أن يتخيّلوا أنّ مصيرَ العالمِ هو هذا. لا ينبغي أن يتصوّر أنّهُ في نهايةِ المطاف لا بدّ ولا مناص من القبولِ والإذعانِ لهذا الوضعِ، بل ينبغي أن يُعلّم أنّ هذا الوضعَ هو

١ - علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ عام، ص ٤٥٧.

وضعُ عابراً - "للباطلِ جولة" (١) - وأما ما هو مرتبطٌ بهذا العالمِ وطبيعتهِ فهو عبارة عن استقرارِ حكومةِ العدلِ، وهو سوف يأتي. يعني الانتظارُ أنه لا بدَّ من مجيءِ يدِ قادرةٍ مقتدرةٍ ملكوتيةٍ إلهيةٍ، وتستعين بهؤلاء الناس من أجل القضاءِ على سيطرةِ الظلمِ، ومن أجل غلبةِ الحقِّ وحاكميةِ العدلِ في حياةِ البشريةِ ورفعِ رايةِ التوحيدِ تجعل البشرَ عباداً حقيقيين لله.

فكلَّ إقدامٍ على طريقِ استقرارِ العدالةِ يمثل خطوةً نحو ذلك الهدفِ الأسمى. فالانتظارُ حركةٌ وليس سكوناً. ليس الانتظارُ إهمالاً وعوداً إلى أن تصلح الأمورُ بنفسها. وإنما الانتظارُ حركةٌ واستعدادٌ. (٢)

الانتظارُ يعني التحضيرَ لا الاتكالَ، لا يمكن للمهَّد أن يكون متقاعدًا أو غير مبالٍ لما يحدث حوله من ظلامٍ وظلمٍ، ويهتم بنفسه فقط ف «مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ».

إنَّ القعودَ عن العملِ والمسيرِ لا يحتاج إلى ضمانة، والسكونُ والتوقفُ لا يحتاجان إلى تأييد، إنما يُحتاج إلى التوكُّلِ عند الألمِ والمشقاتِ التي تعترض المسيرَ، والتي تضعف الإرادةَ وتوهن العزيمةَ.

رأى رسولُ الله ﷺ قوماً لا يزرعون، قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن

١ - عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي: تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم،

المتوكلون، قال: «لا، بل أنتم المتكلمون»^(١). وهذا الانتظارُ يشبه توقعَ الناسِ من الله -تعالى- أن يغيِّرَ أمورَهُم من السيِّءِ إلى الحسنِ، ومن الفقرِ إلى الغنى، ومن العجزِ إلى الكفاءةِ، ومن الهزيمةِ إلى النصرِ.

ولا شكَّ أنَّه توقَّعُ صحيحٌ وعقلانيٌّ، فإنَّ الإنسانَ ركامٌ من الضعفِ والعجزِ والفقرِ والجهلِ والسوءِ. واللهُ -تعالى- هو المؤمَّلُ ليغيِّرَ ذلكَ كلَّهُ، ويحوِّلهُ إلى القوَّةِ والكفاءةِ والغنى والعلمِ والحسنِ.

وليس من بأسٍ على الإنسانِ من هذا التوقُّعِ والانتظارِ من الله تعالى، ولكن بشرطٍ أن يسلكَ الإنسانُ، لتحقيقِ هذا الانتظارِ، الآليَّةَ المعقولةَ التي دعا إليها اللهُ تعالى لهذا التغييرِ، فإنَّ هذا التغييرَ لا شكَّ في أنَّه من جانبِ الله تعالى، ولكن ضمن آليَّةٍ معيَّنة، وما لم يستخدمِ الإنسانُ هذه الآليَّةَ، فلا يصحَّ له أن يتوقَّعَ، أو ينتظرَ هذا التغييرَ من جانبِ الله تعالى.

وهذه الآليَّةُ هي أن يبدأَ الإنسانُ بتغييرِ ما بنفسه حتَّى يغيِّرَ اللهُ تعالى ما به. إنَّ التخلفَ العلميَّ، وسوءَ الإدارةِ، ناشئٌ ممَّا في أنفسنا من الإشكاليَّةِ والضعفِ والكسلِ واليأسِ، وفقدانِ الجرأةِ والشجاعةِ والجهلِ... فإذا غيِّرنا (ما بأنفسنا)، غيَّر اللهُ تعالى ما بنا دون شكِّ، وهو -سبحانه- القادرُ على ذلك.

كما ليس من شك أننا لو لم نغير ما بأنفسنا لا يغير الله ما بنا إلا أن يشاء الله، وهاتان حقيقتان تبيان النقاش والتشكيك.

وانتظار التغيير من الله - تعالى - حق ليس فيه شك، ولكن على أن يقترن هذا الانتظار بالحركة والفعل من ناحية الإنسان، وهذا هو الانتظار الحركي في توضيح ثان. (١)

فقد جاء في الروايات: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ» لا «أَفْضَلُ الْحَالَاتِ».

إذن، الانتظار عمل، لا حالة سكوت وسكون.

إن الإنسان الذي ينتظر مسافراً غاب عنه مثلاً، والمزارع الذي ينتظر الثمار، لا يهدأ له بال، ونحن المنتظرين لمولانا؛ لا بد من أن يسانح سلوكنا سلوكه ﷺ؛ فالمنتظر هو الإنسان العامل المجد. (٢)

الانتظار يستدعي أن يقرب الإنسان نفسه من ذلك الشكل والهيئة والخلق المطلوب منه في الزمن الذي ينتظره. هذه من لوازم الانتظار.

حينما ينتظر الإنسان العدل في تلك الفترة وحينما ينتظر الحق والتوحيد والإخلاص والعبودية لله، فيجب علينا نحن المنتظرين أن نقرب أنفسنا من هذه الأمور. (٣)

إن روح الانتظار هي التي تعلم الإنسان الكفاح في سبيل الخير

١ - مجموعة مؤلفين: العدل المُنتظر مقالات مهادوية، ص. ٦٢ - ٦٣

٢ - حسن ملايي: شروط الظهور المبارك في القرآن الكريم، ص ٣٠.

٣ - علي الخامنئي: نظرية الانتظار، ص ١٤٤.

والصلاح.^(١) فالمنتظر مبادر ومقدام وشريك في صناعة الحدث، يستحق صفة المنتظر من "استكمل جميع التحضيرات اللازمة المناسبة والشروط المطلوبة لاستقباله".^(٢)

المنتظر لا يملُّ -المنتظر لا يظلمُ أحدًا-المنتظر يسعى للإصلاح. إن انتظار الفرج بأن نحمل الإسلام فكراً وعقيدةً ورسالةً إلى كلِّ أذنٍ وإلى كلِّ عقلٍ وإلى كلِّ قلبٍ في العالم.

انتظار الفرج أن نحمل السيف في وجه الطواغيت والظالمين. انتظار الفرج في تمهيد الأرض وتهيئة الناس لظهور الحجة وقيام العدل. انتظار الفرج في مقاومة المحتلين وفي تشكيل القوة الإسلامية العقديّة من الجنود والأنصار والمقاتلين الذين سيفنون للحجة بالبيعة. انتظار الفرج أن تصبح لنا أمةٌ أو حالةٌ أو تيارٌ تلبس الأم والوالدة فيه ابنها لامة الحرب، وتدفعه إلى القتال والشهادة بين يدي حفيد الحسين عليه السلام. من هذا المنطلق تمتد مسؤوليتنا لتشمل في آثارها وبركاتنا البشرية كلها، والعالم كله.

مسؤوليتنا في إعداد الأرض والناس والأجيال وتهيئتهم، وفتح القلوب والعقول لاستقبال النور الآتي بالمهدي ومع المهدي عليه السلام.

١ - علي الخامنئي: نظرية الانتظار، ص ١٢٨.

٢ - حسين زين الدين: خليفة الله: المنهج السنني في قراءة حركة الإمام المهدي

هكذا نمارسُ الانتظارَ الحقيقيَّ في زمنِ الغيبةِ الكبرى حتى عُدَّ انتظارُ
الفرجِ من أفضلِ الأعمالِ.^(١)
فهو كونُ المؤمنِ في حاله الآن كما يودُّ عندَ ظهورِ إمامه، قد استكمل
جميعَ الشروطِ المطلوبةِ لاستقباله وبذلك يستحقُ صفةَ المنتظرِ.^(٢)
إذن، لا بدُّ من الالتفاتِ للانتظارِ بمعناه الثوريِّ المقرون بالتهيؤِ، وأنَّهُ
دعوةٌ إلى النهوضِ وبناءِ الإنسانِ والمجتمعِ، دعوةٌ إلى التحركِ، لا
الركودِ، وأنَّ الانتظارَ موقظٌ محدِّرٌ وليس محدِّراً، وأنَّهُ الاستعدادُ الكاملُ
الذي يبعثُ في الإنسانِ روحَ المسؤوليةِ وليس مدعاةً إلى الفرارِ من
تحمُّلِ المسؤوليةِ والتفاعسِ والالتكاليةِ، وهكذا يكونُ بمفهومه الواقعيِّ،
عاملاً تربوياً مهماً، وبنّاءً، ومحركاً، وباعثاً على الأملِ والرجاءِ.

١ - السيد حسن نصر الله: قبسات مهدوية، ص ١٣٣

٢ - حسين زين الدين: خليفة الله: المنهج السنني في قراءة حركة الإمام المهدي

عجل الله فرجه، ص ١١٠



الفصل الثاني: خصائص المجتمع المهدوي

عن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): "لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها... ولذهبت الشحناء من قلوب العباد"..^(١)

في هذا الفصل، يقع الكلام على أمور عدة ضمن مباحث عدة؛ حيث نحاول في المبحث الأول بيان خصائص المجتمع المهدوي كما تبينه النصوص الدينية، وأما في المبحث الثاني، فنسلط الضوء على المعنى الحقيقي للحياة الإنسانية، تلك الحياة التي وصفها القرآن بأنها الحياة الطيبة.

المبحث الأول: خصائص المجتمع المهدوي

بالإشارة إلى الأجواء الفاسدة السائدة في الأمة عصر الظهور من خلال الرواية الواردة عن أمير المؤمنين (عليه السلام): "...فإن علامات ذلك: إذا

١ - محمد تقي الاصفهاني: مكيال المكارم ج ١، ص ٩٣.

أَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَاةَ وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكُذْبَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَأَخَذُوا الرِّشَاءَ... وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا، وَاسْتَعْمَلُوا السُّفَهَاءَ، وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ وَاسْتَخَفُّوا بِالِدِمَاءِ، وَكَانَ الْحَلْمُ ضَعْفًا، وَالظُّلْمُ فَخْرًا، وَكَانَ الْأَمْرَاءُ فَجْرَةً، وَالْوُزَرَاءُ ظَلْمَةً، وَالْعُرَفَاءُ خُونَةً، وَالْقِرَاءُ فِسْقَةً، وَظَهَرَتْ شَهَادَاتُ الزُّورِ، وَاسْتَعْلَنَ الْفُجُورُ، وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ وَالْإِثْمِ وَالطُّغْيَانِ... وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرَذَلَهُمْ، وَأَتْقَى الْفَاجِرُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَصُدِّقَ الْكَاذِبُ وَأَوْثِمَ الْخَائِنُ، وَاتَّخَذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، وَرَكِبَتْ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوحَ، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ...^(١)

إِنَّ الْمَجْتَمَعَ الْمَهْدُويَّ هُوَ ذَلِكَ الْعَالَمُ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ إِمَامُ الزَّمَانِ لِيُصَلِّحَهُ، وَهُوَ الْمَجْتَمَعُ نَفْسُهُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ أَجْلِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ. أَيَّ إِنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا مَقْدَمَةً لِذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ الْمَثَالِيِّ الَّذِي سَيَتَحَقَّقُ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ بِوِاسِطَةِ وَلِيِّ الْعَصْرِ وَالْمَهْدِيِّ الْمَوْعُودِ. مِثْلُ بِنَاءِ شَامِخٍ، يَأْتِي شَخْصٌ فَيَسْطِخُ الْأَرْضَ وَيَزِيلُ مِنْهَا الْأَشْوَاكَ وَالْعَوَائِقَ، ثُمَّ يَأْتِي شَخْصٌ آخَرَ مِنْ بَعْدِهِ وَيَبْنَعُ فِيهَا الْأَسْسَ، ثُمَّ يَأْتِي شَخْصٌ آخَرَ لِيَضَعَ فِيهَا الْأَعْمَدَةَ وَالْأَرْكَانَ، وَهَكَذَا شَخْصٌ بَعْدَ آخَرَ، يَأْتُونَ لِعِمَارَةِ الْجِدْرَانِ حَتَّى يَصِلَ هَذَا الْقَصْرُ الْمَرْتَفِعُ، وَهَذَا الْبِنْيَانُ الرَّفِيعُ إِلَى شَكْلِهِ النَّهَائِيِّ.

قد جاء الأنبياء الإلهيون، ومنذ بداية تاريخ البشرية، واحداً بعد آخر، من أجل أن يقربوا المجتمع والبشرية خطوةً خطوةً نحو ذلك المجتمع المثاليّ وذلك الهدف النهائيّ. لقد نجح جميع الأنبياء ولم يفشل أيّ واحد من رسل الله على هذا الطريق، وفي هذا المسير، لقد كان حملاً على عاتق هؤلاء المأمورين الشامخين، وكلّ واحد منهم تقدّم به خطوةً نحو المقصد والهدف النهائيّ وسعوا بكلّ جهدهم من أجل القيام بهذا العمل. وعندما كانوا يصلون إلى آخر حياتهم كان هناك من يأتي من بعدهم ليضع هذا الحمل على عاتقه ويتقدّم به مسافةً أخرى، مقترّباً بذلك من ذلك الهدف. ووليّ العصر ﷺ، هو وارث جميع الأنبياء الإلهيين، فعندما يأتي ستكون الخطوة الأخيرة على طريق إيجاد ذلك المجتمع الإلهيّ.

في دعاء الندبة، يذكر خصائص ذلك المجتمع. فعندما يقول: "أين معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء" مثلاً، فذلك المجتمع هو مجتمع يكون فيه أولياء الله أعزّاء وأعداء الله أذلاء، أي أنّ القيم والمعايير الحاكمة في ذلك المجتمع تكون هكذا. "أين المعدّ لإقامة الحدود"، ففي هذا المجتمع تُطبّق الحدود الإلهية وتُراعى كلّ الحدود التي عينها الله تعالى والإسلام في مجتمع إمام الزمان.

فعندما يظهر إمام الزمان يصنع مجتمعاً له باختصار مثل هذه الخصوصية إن إمام الزمان ﷺ، يبني مجتمعه على هذه الأسس:

أولاً: عدم الظلم والتمييز

العمل على إزالة الظلم والطغيان وقمعهما وقلع جذورهما. فلا ينبغي أن يكون في هذا المجتمع الذي يكون في زمان وليّ العصر عليه السلام أي ظلم وجور في كلّ العالم. فلن يكون أيّ ظلم اقتصادي أو سياسي أو ثقافي أو أيّ نوع آخر في ذلك المجتمع. فيجب اقتلاع كلّ الاختلافات الطبقيّة وكلّ أنواع التمييز وعدم المساواة والتسلط والهيمنة.

ثانياً: ارتقاء الفكر

إنّ من خصائص المجتمع المثاليّ الذي يصنعه إمام الزمان عليه السلام، هو الارتقاء بمستوى الفكر البشريّ، سواءً على المستوى العلميّ الإنسانيّ أم المعارف الإسلاميّة.

ففي زمن وليّ العصر، لن نجد في كلّ العالم أيّ أثر للجهل والامية والفقر الفكريّ والثقافيّ.

هناك يتمكّن الناس من معرفة الدين معرفةً صحيحةً، لقد جاء في رواياتنا أنّه عندما يظهر وليّ العصر، فإنّ المرأة تجلس في بيتها وتفتح القرآن وتستخرج منه حقائق الدين وتفهمها.

فماذا يعني ذلك؟ يعني أنّ مستوى الثقافة الإسلاميّة والدينيّة يرتقي إلى درجة أنّ جميع الأفراد، وكلّ أبناء المجتمع، والنساء اللواتي لا يشاركن

في ميدان الاجتماع على سبيل الفرض، ويبقى في بيوتهن، فإنهن يتمكنّ من أن يصحن فقيهاً وعارفات في الدين، فيتمكّن من فتح القرآن، وفهم حقائق الدين بأنفسهن. فكم سيكون هذا المجتمع نورانياً، ولن يبقى فيه أيُّ نقطة ظلام وظلمانية.

ثالثاً: انبعاث الطاقات

الخاصية الثالثة لمجتمع إمام الزمان - المجتمع المهدوي - هي أنه في ذلك العصر ستكون جميع القوى الطبيعية وكلُّ الطاقات البشرية في حالة انبعاث فلا يبقى أيُّ شيء في باطن الأرض لا يستفيد منه البشر. فكلُّ هذه الإمكانيات الطبيعية المعطّلة، الموجودة في باطن الطبيعة سوف تُستخرج في عصر إمام الزمان.

وفي رواية أخرى يقول: «القائم منا منصورٌ بالرب، مؤيدٌ بالنصر، تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب»، ما يعني أنّ كلَّ الحكومات الظالمة والأجهزة الجائرة ستكون مرعوبةً منه.

في ذلك الزمان، «تطوى له الأرض»، أي أنها ستكون بيده وفي قبضة قدرته. وتظهر تلك الكنوز وتبلغ سلطته مشرق العالم ومغربته. «فلا يبقى خرابٌ إلا قد عمر»، أي أنّ هذه السلطة سوف تُنفق في عمارة الأرض، لا في السيطرة على ثروات البشر وفي استضعافهم.

رابعاً: الجنة الإنسانية

المحور الرابع في عصر إمام الزمان هو محور الفضيلة والأخلاق. فكل من كان صاحب فضيلة خُلُقِيَّة أكثر سيكون مقدِّماً وسبَّاقاً. ^(١) هناك رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: «حتى إذا قام القائم جاءت المزايلة وأتى الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته فلا يمنعه» ^(٢)، وهي إشارة إلى أخلاق المساواة بين البشر وإلى الإيثار.

وتُبشِّرُ هذه الروايةُ بنجاةِ البشرِ من تسلُّطِ البخلِ والحرصِ الَّذي كان أكبرَ سببٍ لشقاءِ البشريةِ.

وهذا في الحقيقة علامةٌ على ذلك النظام الإسلاميِّ السالمِ خُلُقِيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا في ذلك الزمان.

فلا يوجدُ أيُّ قهرٍ وإجبارٍ في البينِ بل إنَّ البشرَ أنفسهم ينجونَ من البخلِ الإنسانيِّ والحرصِ البشريِّ وستتحقِّقُ مثلُ هذه الجنةِ الإنسانيةِ. ويوجدُ في روايةٍ أخرى أيضاً: «إذا قام قائمنا اضمحلت القطائعُ، فلا قطائعٌ» ^(٣)، فتلك القطائعُ التي تمنحها الحكوماتُ المستكبرةُ في العالمِ لأتباعها وحلفائها، وذلك الكرمُ الحاتميُّ الَّذي يحصلُ من جيوبِ الشعوبِ سوفَ يتوقَّفُ تماماً في العالمِ.

١ - علي الخامنتي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص.ص ٣٧٦ - ٣٨٠.

٢ - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٥، ص ١٢١.

٣ - حسين البروجوردي: جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٣، ص ١٠١٢.

وقد كانت القطائع في الماضي بشكل وهي اليوم بشكل آخر. كانت في الماضي بحيث أن الخليفة أو السلطان يمنح أرضاً أو صحراء أو قرية أو مدينة أو حتى ولاية لشخص ما، فيقول له اذهب هناك وافعل ما يحلو لك فيها، خذ من أهلها الجبايات والخراج واستعمل مزارعها واستفد منها وكل فائدة مادية هي لك. وكان عليه طبعاً أن يعطي السلطان حظه. واليوم، هي بصورة الاحتكارات النفطية والتجارية والصناعية والفنية المختلفة، وهذه الصناعات الكبرى كلها وهذه الاحتكارات التي جعلت الشعوب مسكينة هي في الواقع في حكم القطائع، التي أشير إليها، وفيها كانت تمارس كل أنواع الرشاوى والمحاباة. إن هذا البساط الذي يقتل البشر ويقضي على الفضيلة سوف يطوى وسوف توضع أسباب الاستفادة والنفع بيد جميع الناس. وفي رواية أخرى ناظرة إلى الوضع الاقتصادي يقولون: "ويسوي بين الناس حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة"^(١)، ما يعني أنه لن يبقى هناك أي فقير يحتاج إلى زكاة أموالكم، وبالطبع سيكون لهذه الزكاة مصرفها في الأمور العامة لا للفقراء، لأنه لن يبقى هناك أي فقير. مثل هذه الروايات ترسم الجنة الإسلامية والعالم الواقعي. وليس هذا الأمر مشابهاً لتلك المدن الفاضلة التي صنعها بعض في

خيالاتهم وأوهامهم.

إِنَّ كُلَّ تِلْكَ الشَّعَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ جَمِيعًا قَابِلَةٌ لِلتَّطْبِيقِ^(١).
 كما ترتفع في ظهوره عليه السلام كلُّ علةٍ ومرضٍ في المؤمنين والمؤمنات فلا
 يبقى منهم أحدٌ مريضاً في العالم كله، وتطولُ الأعمارُ حتى يرى الرجلُ
 منهم ألفَ ولدٍ من ذريته، ويتشعُرُ الأمنُ في كلِّ الطرقِ وجميعِ البلادِ،
 وتتألفُ الحيواناتُ في ما بينها حتى المتوحشةُ منها.
 ويهدي عليه السلام بعلمِ الباطنِ ويقتلُ كلَّ الكفارِ والمنافقينَ حتى لو تظاهروا
 أنهم من أصحابه، وينشرُ دينَ الإسلامِ في كلِّ الأرضِ، ولو كان الكافرُ
 أو المشركُ في بطنِ صخرةٍ لقاتل الصخرةُ: يا مؤمنُ، في بطني كافرٌ،
 أو مشركٌ فاقتله. فيقتله، فضلاً عن إحياءِ جماعةٍ كثيرةٍ من المخالفينَ
 بإعجازه عليه السلام لينتقمَ منهم، ويتصرُّ عليه السلامُ على كلِّ الملوكِ وتتسعُ
 دولتهُ فتشملُ كلَّ الأرضِ.^(٢)

المبحث الثاني: المعنى الحقيقي للحياة في الإسلام

”اللَّهُمَّ وَأَحِبِّي بَوْلِيكَ الْقُرْآنَ
 وَأَرِنَا نُورَهُ سَرْمَدًا لَا لَيْلَ فِيهِ

١ - علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ عام، ص ٤٦٧.

٢ - محمد تقي الموسوي الأصفهاني: وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام عليه السلام.

وَأَخْبِي بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ
وَأَشْفِ بِهِ الصُّدُورَ
(من دعاء زمن الغيبة)^(١)

أولاً: لِمَا يُحْيِيكُمْ

لا بدَّ أن نبين المعنى القرآني للحياة. الإسلام دعوة للحياة، ولكن أي حياة؟ ثمّة نداء في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يدعونا الله فيه للاستجابة إلى دعوته للحياة بمعناها الحقيقي: لِمَا يُحْيِيكُمْ! ^(٢) في هذه الآية نتعرّف على الحياة بمعناها القرآني. هدف الإسلام هو الحياة على جميع الأصعدة؛ حيثُ يبعثُ الحركة في كلِّ جوانب الحياة، ويحيي الفكرَ والثقافةَ والإحساسَ بالمسؤولية، ويوجدُ التكامُلَ والرُّفْيَ والوحدةَ والتآلفَ، فهو -إذن- يبعثُ الحياةَ في البشرية بكلِّ معنى الكلمة: الحياةَ المعنويةَ والماديةَ والثقافيةَ والاقتصاديةَ والسياسيةَ، والحياةَ الخُلُقِيَّةَ والاجتماعيةَ، وأخيراً الحياةَ

١ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، ص ٩٥

٢ - محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٤٦-٤٧.

والعيش بالمعنى الصحيح على جميع الأصعدة. كان الناس موتى قبل بزوغ الإسلام وفاقدي الحياة بمعناها القرآني، كانوا يعيشون الحياة الحيوانية والمادية، وكانوا بعيدين عن الحياة الإنسانية والمعنوية والعقلية، فجاء القرآن ليدعوهم إلى الحياة^(١).

ثانياً: «لينذر من كان حياً»

يجعل القرآن الكريم الإيمان هو الحياة والمؤمنين هم الأحياء، والكفار هم الموتى، ففي جانب يذكر عنواناً «حياً» وفي الطرف المقابل عنواناً «الكافرون»، فهذه هي الحياة، وهذا هو الموت المعنوي اللذان هما أعلى بمراتب من الموت والحياة الظاهريين، وآثارهما أوسع وأشمل، فإذا كانت الحياة والمعيشة بمعنى «التنفس» و«أكل الطعام» و«الحركة»، فإن هذه الأعمال كلها تقوم بها الحيوانات، فهذه ليست حياة إنسانية، الحياة الإنسانية هي تفتح أزهار العقل والفهم والملكات الرقيقة في روح الإنسان، وكذلك التقوى والإيثار والتضحية والتحكّم بالنفس، والتحلّي بالفضيلة والأخلاق، والقرآن ينمي هذه الحياة في وجود الإنسان. والخلاصة: إنَّ الناس ينقسمون حيال دعوة القرآن الكريم إلى مجموعتين:

١ - محسن قرائتي: تفسير النور، ج ٣، ص ٢٧٨. (بتصرّف)

مجموعةٌ حيَّةٌ يقظةٌ تلبّي تلك الدعوة، وتلتفتُ إلى إنذاراتها، مجموعةٌ من الكفار ذوي القلوب الميتة الذين لا تؤملُ منهم أيَّةُ استجابةٍ أبداً، ولكن هذه الإنذاراتِ سببٌ في إتمامِ الحجةِ عليهم، وتحققُ أمرِ العذابِ بحقهم. (١)

إذن، في الإنسانِ أنواعٌ من الحياةِ والموتِ: النباتيُّ، الحيوانيُّ. أما النوعُ الثالثُ من الحياةِ الخاصُّ بالإنسانِ فقط، فهو الحياةُ الإنسانيَّةُ والروحيَّةُ. وهو ما قصدته الرواياتُ بقولها "حياة القلوب". حيث أن المقصودَ بالقلبِ هنا "الروحَ والعقلَ والعواطفَ" الإنسانيَّة. (٢) وفي موضعٍ يقولُ تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثمهم الله ثم إليه يرجعون﴾ [الأنعام، ٣٦]. من مجموعِ هذه التعبيراتِ وتعبيراتٍ كثيرةٍ أخرى شبيهةٍ لها يظهرُ بوضوحٍ أنَّ القرآنَ يعدُّ محورَ الحياةِ والموتِ ذلك المحورَ الإنسانيَّ والعقلانيَّ؛ إذ إنَّ قيمةَ الإنسانِ تكمنُ في هذا المحورِ. إنَّ أسبابَ الموتِ والحياةِ الروحيَّةِ كثيرةٌ جداً، ولكن القدرُ المسلمُ به هو أنَّ النفاقَ والكبرَ والغرورَ والعصبيةَ والجهلَ والكباثرَ، كلها تميّت القلبَ (٣). فمن لا يعبأُ بظلامَةِ المظلومِ، ولا يلبيّ نداءَ الحقِّ، ويفكرُ في نفسه فقط،

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٤، ص ٢٣٣.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٤، ص ٢٣٤.

٣ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٤، ص ٢٣٥.

ويعتبرُ نفسهُ غريباً حتى عن أقرب الأقباءِ، هل يعتبرُ إنساناً حياً؟^(١)

ثالثاً: ويحيي ميت الكتاب

إذن، يرجعُ قسمٌ كبيرٌ من معاناة الناس إلى عدم وضوح معنى الحياة القرآنيّة لهم وكيف يمكن أن تتحقّق.

ولكن هل نحن نحيا حالياً حياة قرآنيّة؟ وما هي العلاقة بين إمام الزمان والحياة بمعناها القرآنيّ؟

في دعاء زمن الغيبة^(٢) نقول: «اللهمَّ عرّفني نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفني نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِف رَسُوكَ، اللهمَّ عرّفني رَسُوكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفني رَسُوكَ لَمْ أَعْرِف حُجَّتَكَ، اللهمَّ عرّفني حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفني حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللهمَّ لَا تَمْتِنِي مِتَّةً جَاهِلِيَّةً وَلَا تُرَغِّ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي». وفي الحديث عن الرسول الأكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^(٣). ونقل عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه سيأتي زمن يصير فيه المعروف منكراً، والمنكر معروفاً وسيكون فيه هجران

١ - من بحث الحياة والموت في عاشوراء: «إلا قنطرة، إلا سعادة، إلا جميلاً»، قدّمته للمؤتمر الدولي الأول: «فلنحييّه حياة طيبة» الذي أقامته العتبة العباسية في ٢٠ و١ آذار ٢٠٢٤

٢ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٩٥.

٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ١، ص ٣٧٧.

للقرآن، وقد تحقّق ذلك في هذا الزمن، وفي زيارة الناحية المقدّسة المرويّة عن مولانا بقية الله ورد «وأصبح كتاب الله بفقدك مهجوراً»، نحن نعلم أنّ دولة العدل الإسلاميّ التي سببها الإمام هي دولة القرآن، وفي الحديث عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عن معالم الزمن المهديّ: «ويحيي ميت الكتاب والسنة»^(١).

رابعاً: ربّاني آياته

نحن نفتح زيارة آل يس بالقول: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ وَرَبَّانِي آيَاتِهِ. ثم يتبعها سلامٌ آخر: السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه.. وردت كلمة ربّاني في القرآن الكريم في سياقات متعددة،^(٢) أحدها بصيغة أمر «كُونُوا رَبَّانِيِّينَ»: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

١ - يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي... تخرج له الأرض أفايد كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيركم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة.

٢ - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[آل عمران: ١٦٤]

تَدْرُسُونَ ﴿ [آل عمران: ٧٩]، الجديرُ ذكرُهُ هنا تتمُّ الآيةُ بعدَ صيغةِ الأمرِ، كيفَ نكوُنُ ربّانيين؟ يأتي الجوابُ من القرآنِ نفسه: بما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. أي قبلَ التعلِيمِ والتزكيةِ هناكَ مرحلةُ التلاوةِ، ولا يمكنُ للشخصِ أن يكونَ ربانياً إذا لم يكن تالياً للقرآنِ (تلاوةَ القرآنِ، تزكيةَ القرآنِ، تعلِيمَ القرآنِ) وإلا فهو في الجاهليةِ مهما كان منصبُهُ الدنيوي، إذن فالمعيارُ والميزانُ هو القرآنُ كما جاء في السورةِ نفسها ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].^(١)

كونوا ربّانيين، قبلَ التعلّمِ لا يمكنُ أن يكونَ الإنسانُ ربانياً، ولا يمكنُ للشخصِ أن يكونَ سياسياً إن لم يكن تالياً للقرآنِ: تلاوة، تزكية^(٢). والتزكية تعني إزالة كل الموانع النفسية التي تتسبب في تعطيل العقل وإضعافه^(٣).

١ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]

٢ - علي سائلي: المهدي المنتظر (عج) معرفة وسلوك، ص ٣٦.

٣ - عباس نورالدين: كتاب كيف سيتغير العالم؟، ص ٦٦

خامساً: ويحيي الإنسان

نعوذُ للآيةِ الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الْجَاهِلُ مَيِّتٌ وَإِنْ كَانَ حَيًّا»^(١). نحن نطلب من الله في الدعاء إحياءنا بالمهدي عليه السلام «وأحيي به عبادك»^(٢)، «وأحيي به القلوب الميِّتة»^(٣). وفي الزيارة تتوجّه إليه بالقول: «السلام عليك يا عين الحياة»^(٤). وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧] قال: يحييها الله عزّ وجلّ بالقائم عليه السلام بعد موتها^(٥) - وعن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧] قال ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً فتحيي الأرض لإحياء العدل، ولإقامة الحدّ فيها أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً.^(٦)

- ١ - علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٦٥.
- ٢ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، ص ٦١٢.
- ٣ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، ص ٩٧.
- ٤ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، ص ٨٥.
- ٥ - محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٦٦٨.
- ٦ - محمد تقّي الأصفهاني: مكّيال المكارم ج ١، ص ٧٧.

كيف تكون الاستجابة إذن؟

الاستجابة بالتعليم والتزكية، أي أنّ الذي يحيي الإنسان هو القرآن، القرآن هو المحيي، ومن دونه موت جاهلي. ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

القرآن هو نورُ الله، ونور رسول الله ﷺ، وفي زيارة بقيّة الله نقول: «السلام عليك يا نور الله الذي يهتدي به المهتدون»^(١).

في المحصّلة، نستنتج أنّ الموت والحياة محورهم القرآن الكريم: الالتزام بالقرآن < حياة

عدم الالتزام بالقرآن < موت

ونستنتج أنّه سيحيا حياة قرآنية من عرف إمام زمانه، "إمّا أن يتسم الإنسان بالحياة القرآنية بكل مستلزماتها وإما يموت موت جاهلي"^(٢)

من عاش وعرف إمام زمانه < عاش عيشة قرآنية

من مات وعرف إمام زمانه < مات ميتة قرآنية

السلام عليك يا شريك القرآن..

يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٣٢]، ولعلّ الصراع العالمي الذي نشهده اليوم هو عن المعنى الحقيقي للحياة، وعن

١ - عباس القمي: مفاتيح الجنان، ص ٨٥

٢ - علي سائلي: المهدي المنتظر ﷺ معرفة وسلوك، ص ٢٩ - ٣١

الحياة القرآنية، بين من يُميتُ الناسَ وبين من يُحييهم، ومن يُميتُ روحهم، وعقلهم، وقابليّاتهم، ويشغلهم بالشهوة ليطيعوه كما هو النهج الفرعوني: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وبين من يُحييهم، يُحيي طاقاتهم ولا يهدرُها، يعملُ على تفتحِ قابليّاتهم، وبياركُ وقتهم في ما ينبغي. وهنا تجدرُ الإشارةُ إلى أن أهمَّ عاملين في هذا الصراع هما العقلُ والوقتُ، فالأولُ يعملُ على إغفالِ العقلِ وتغييبه، والثاني يعملُ على إعماله واستثارةِ دوائمه. وقد اختير مؤخرًا - في كانون الأول "٢٠٢٤" - مصطلحُ "تعفن الدماغ" بوصفها كلمة العام في أكسفورد، للتعبيرِ عمّا يصيبُ الناسَ من كثرةِ أخبارِ وسائلِ التواصلِ المتدنيّةِ الجودة، ولوصفِ حالةِ الضبابيةِ والخمولِ الذهنيّ الذي يصيبُ الإنسانَ نتيجةَ الإفراطِ في النظرِ للشاشة أو استهلاكِ المحتوى القصيرِ والسريعِ على منصاتٍ مثل "تيك توك" و"إنستغرام". ويُعتبرُ "تعفنُ الدماغ" واحدًا من التداعياتِ السلبيةِ لاستخدامِ الهواتفِ المحمولة، وهي تعني تدهورَ الحالةِ العقليةِ أو الفكريةِ للشخصِ بسببِ الإفراطِ في التعاملِ مع الموادّ التي تُعتبرُ تافهةً أو غيرَ مهمة. وتتمثّلُ أعراضُ "تعفنِ الدماغ" في ضعفِ في الذاكرةِ مع زيادةِ النسيانِ وصعوبةِ التركيزِ، خاصّةً في الأمورِ التي تتطلّبُ مجهودًا عقليًا، مضافًا إلى التعبِ الذهنيّ أو الشعورِ بالإرهاقِ وانخفاضِ النشاطِ البدنيّ بسببِ التسمّرِ أمامِ الشاشة لفتراتٍ طويلة.. (١) وهذه

أهم أساليب حُرفِ الناسِ عن القضاياِ المصيريّةِ، واللعبةِ الديماغوجيّةِ، فلا عجبَ في ظلِّ انشغالِ السوادِ الأعظمِ من الناسِ بالتفاهةِ، في حين نشهدُ عالمياً أفظعَ مجزرةٍ بشريّةٍ تركبُها أميركا وإسرائيلُ يوماً في فلسطينَ المحتلّةِ والحروبِ التي تفرضها على الدولِ المناهضةِ للاستبكارِ.

سادساً: محوريّة القرآن في الدولة الكريمة للإمام المهديّ
لا بدّ من الإشارةِ إلى محوريّة القرآن في الدولة الكريمة للإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه)، فعندما يظهر الإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه) سيكون القرآن الكريم هو الحاكمُ في المجتمع؛ يوم تنتهي غربتُ القرآن الكريم وهجرانهُ، ويصبح الركيضةُ التي تقوّمُ عليها الدولة المهدويّة، ويُعملُ بما تُركُّ من تعاليمه وأوامره مهما كان السببُ الذي حالَ دونَ العملِ بها، مضافاً إلى تعلّمِ جميعِ الناسِ القرآنَ الكريم، فهم سيجعلونه الدستورَ الذي يرسمُ حياتهم وحياةَ الآخرين من حولهم، ويمضي الناسُ على نهجه وفي هديه. فإنّ تعلّمِ القرآن لعمومِ الناسِ في عصرِ ظهورِ إمامِ الزمان (عجل الله تعالى فرجه) يحظى بأهميّةٍ بالغةٍ، يقولُ أمير المؤمنين (عليه السلام): "إذا قامَ قائمُ آلِ محمّدٍ ضربَ فساطيطاً لمن يعلمُ الناسَ القرآنَ على ما أنزلَ الله جلّ جلاله"^(١).

الإمام الموعودُ والقرآن لا يفترقان أبداً، ففي خطبة يوم الغدير المعروفة، وبعد أن بين رسولُ الله ﷺ للناس أنَّ الوصيَّ من بعده أميرُ المؤمنين وأبناءؤه المعصومون (عليهم السلام)؛ ذكر أنهم (عليهم السلام) - ومن جملتهم الإمام المهديّ (عليه السلام) - والقرآن معاً لا يفترقان، فقال ﷺ: «عليّ أخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعةٌ من ولد الحسين واحدٌ بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا عليّ الحوض»^(١).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «إِنَّ الْعَلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَيْبُتٌ فِي قَلْبِ مَهْدِينَا كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ فِي أَحْسَنِ نَبَاتِهِ»^(٢).

لقد بين هذا الكتاب علاقة الإنسان بالله (العبادات)، وعلاقة الإنسان بالناس (التعليم، والتعلم، والعفو، والإنفاق، والإيثار، والتعاون، و...)، وعلاقة الإنسان بالطبيعة (التسخير والإعمار، والإحياء، والابتعاد عن الإسراف والتبذير في ما نال منها).

وبين علاقة الإنسان بالمخالفين والمنافقين وأمر بدعوتهم إلى الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ودعا إلى

١ - محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٧٧.

٢ - محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٣٦٧.

مواجهة المفسدين الذين هم كالشوك في الطريق يحولون بين عموم الناس واتباع الحق، وإلى مواجهة الطغاة في المجتمع. القرآن ميزانٌ وملاكٌ ومعيارٌ ومقياسٌ، ليس الأحاديثُ فقط، بل لا بدَّ من عرضِ سائرِ أنواعِ القولِ والكتابةِ، يجب عرضُ كلِّ القيمِ على القرآن. إنَّ السببَ في هذا الاهتمامِ البالغِ بالقرآنِ الكريمِ يعودُ إلى أنَّ القرآنَ كتابٌ هدايةٌ، وشفاءٌ ومداؤٌ للأسقام، كتابٌ بشارَةٌ وإنذار، كتابٌ المحبَّةِ للمحسنين، كتابٌ الدعوةِ إلى المحاسنِ والدعوةِ إلى العمل، كتابٌ التعقُّلِ والتفكيرِ، وكتابٌ الجهادِ والقتالِ، والقرآنُ كتابٌ سياسةٍ وحكم، إنَّ لازمَ كلامٍ من يقولُ بفصلِ الدينِ عن السياسةِ حذفَ بعضِ آياتِ القرآنِ!^(١)



الفصل الثالث: اعتبار من التاريخ الحسيني

عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، قال: «هي في القائم عليه السلام وأصحابه»^(١). وعن عبد الله بن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا...﴾، قال: «إِنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَخْرَجْتَهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلْقَائِمِ عليه السلام إِذَا خَرَجَ يَطْلُبُ بَدَمَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَهُوَ قَوْلُهُ: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ الدِّمِّ وَطَلَابُ الدِّيَةِ»^(٢). لذا عدَّ زمان قيام الإمام المهدي عليه السلام -بناءً على جري القرآن الكريم- المصداق الأبرز لهذه الآية. ذلك الزمان الذي تزول فيه كل أشكال الظلم، وتُستوفى فيه حقوق المظلومين بتمامها، وطلب دماء الإمام الحسين عليه السلام لا يتحقق إلا بإقامة الحق والعدل -الذي خرج لأجله

١ - محمد بن إبراهيم: النعماني: الغيبة، ص ٢٤١، ح ٣٨.

٢ - محمد بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٤.

ذلك الإمام العزيز - على امتداد العالم^(١)،
فما هي العلاقة بين ما جرى في كربلاء والتمهيد للحفيد الأخير للإمام
الحسين؟
في هذا الفصل سنتعرف على ذلك

المبحث الأول: الإمامان الحسين والمهدي (عليهما السلام) اختلاف التكليف

إنَّ حدثًا بهذا المستوى؛ أي قيام المهديّ عليه السلام وعودة السيّد المسيح عليه السلام إلى الأرض، لا يمكن وقوعه فجأةً من دون مقدمات وتمهيد واستعداد نفسيّ وروحيّ وثقافيّ وفكريّ وميدانيّ وبشريّ، بل إنَّ عودة السيّد المسيح عليه السلام إلى الدنيا لا تعود محمودةً مع غياب عامل الانتظار الإيجابيّ والجديّ، وإلا تأمر عليه اليهود مجدّدًا، ولا يعود - مع غياب هذا العامل - مقبولًا بالمعايير العقليّة للمهديّ عليه السلام أن يقوم لئلاّ يخذله الناس كما خذلوا جدّه الحسين عليه السلام، بل من المفترض أن يوجد أنصارٌ وعابدونٌ مؤمنون ليرثوا الأرض، فيأذن الله حينها لأوليائه بالحركة والخروج. إنَّ تكليف الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام مختلفٌ عن تكليف الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يعرف أنّهم سيخذلونه، ويقتلونه،

١ - حسن زمانى: عصر الظهور في ضوء القرآن الكريم، ص ٥١.

ويسلمونه، ويسبون نساءه رغم مبايعتهم له ومراسلتهم إياه، ولكن قامت عليه الحجة، ووجب عليه تلبية الدعوة. أما صاحب الزمان عليه السلام فتكليفه هو أنه لن يخرج إلا على يقين من المستقبل؛ لأنَّ الوعد الإلهي سيتحقق على أساس هذا الخروج والظهور. فليس المطلوب من الإمام عليه السلام أن يخوض معركة، قد يستشهد هو وجماعته وتنتهي الحكاية، بل المطلوب منه أن يحقق انتصاراً نهائياً، وهذا هو المعنى الحقيقي من أن الإمام عليه السلام سيغير العالم، وقيم العدل، ويزيل الظلم والطغيان. هو بحاجة إلى أنصار يهيئون له أرضية هذا الانتصار، وإذا تأخر الأنصار يتأخر هو في الخروج. أما الذي يعجله فهو أن نبي من أنفسنا وأولادنا وأحفادنا وأجيالنا أنصاراً لصاحب الزمان عليه السلام يكونون له أطوع من بنانه، لا يتركونه في الساحة وحيداً؛ أنصاراً ورجالاً ونساءً كتلك الثلة الطاهرة التي ثبتت مع الحسين عليه السلام ليلة العاشر، والتي رفضت أن تغادر كربلاء مع أن الحسين أحلها من بيعته. هذه النوعية من الناس عندما تتواجد وتتكاثر في أكثر من مكان في العالم، هذا الأمر يعجل في الفرج. إن القلوب التي يتطلع إليها الإمام عليه السلام هي القلوب المملوءة بحب الله والمتعلقة بالآخرة والعاشقة حقاً للشهادة، والتي يحمل كل واحد منها أمانة أن يظهر المهدي عليه السلام ليكون مقاتلاً. فعندما سيخرج الإمام عليه السلام لا يريد أن يقاتل سنين طويلة تكون على حساب تحقيق الهدف، بل يجب أن يخوض معركة حاسمة غير طويلة. وبناءً عليه،

يجب أن تكون الأرضُ مهياًً له عندَ خروجهِ، وأن يكون العالمُ مستعداً لقبولِ العدالةِ والحكمِ الإلهيِّين، فحين تتحقّق أسبابُ النصرِ الطبيعيِّ وليس الإعجازيةِ، من قبيل وجودِ الأعوانِ والأَنْصارِ للإمامِ عليه السلام، فإنّه سيظهرُ. ولو ظهرَ الإمامُ عليه السلام في ظروفٍ غيرِ ناضجةٍ لتحقيقِ الهدفِ والمشروعِ، فإنّه سيكون مهديّاً أميناً، وسيكون مشروعهُ أيضاً مهديّاً، فمستكبرو العالمِ حاضرُونَ لتدميرِ أيِّ مكانٍ من أجلِ القضاءِ على الإمامِ في حالِ ثبتِ أنّه هو المهديُّ عليه السلام. إنَّ كلَّ ما يجري في الكرةِ الأرضيةِ اليومِ هو في سياقِ هذا الوعدِ الإلهيِّ والهدفِ الإلهيِّ، سواءً ذُكر بوصفه علاماتٍ أم لم يُذكر، أو ورد في الرواياتِ أم لم يرد؛ لأنَّ البشريةَ ستصل وحدها إلى مكانٍ تياس فيه ممّا في أيدي الناسِ من حروبٍ ونزاعاتٍ وأوبئةٍ، وغير ذلك، فتطلب الحلَّ من الله سبحانه وتعالى، وتعود إليه، وتلجأ إلى شريعتهِ، ودينه، وحكمه، ورسالتهِ، وقيادةِ أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، فيستجيب الله سبحانه وتعالى لنداءِ البشريةِ، ويأذن لهؤلاء أن يظهرُوا، ويعودوا إلى الأرضِ، ويحملوا هذا المشروعَ ويحقّقوه، ليعمّ السلامُ والأمنُ والعدلُ الأرضَ كلّها. لا شكّ في أنّ الأحداثِ التي توالى على العالمِ منذ السابِعِ من أكتوبرِ عام ٢٠٢٣ أسقطت جميعَ الأفعنةِ الكاذبةِ والخادعةِ في الحديثِ عن السلامِ والأمنِ والقانونِ الدوليِّ والمنظّمةِ الدوليّةِ والنظامِ العالميِّ والاستقرارِ؛ وكشفت عن الوجهِ الحقيقيِّ المتوحّشِ للصهاينةِ وأميركا، الذي يعيشُ سفكُ الدماءِ والاستبدادِ

والهيمنة. وهذا الأمر سيعجل بالفرج، وسوف يعجل بعودة السيّد المسيح (عليه السلام) إلى الدنيا. فهل نحن مستعدّون ومتأهبّون ونصرتنا معدّة لذلك الاستحقاق التاريخي والوعد الإلهي؟ ثمّة قabiliّات يجب أن تخرج من القوّة إلى الفعل حتى يكون العالم مستعدّاً لهذا الاستحقاق، كما جاء في السّنن القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وهنا نعود إلى التاريخ لناخذ العبر، فما هي أسباب عدم نصر الإمام الحسين (عليه السلام) والالتحاق به في كربلاء؟

المبحث الثاني: أسباب عدم نصر الإمام الحسين (عليه السلام) والتمهيد

إذا ما عدنا إلى أيّ مرحلة من مراحل الأئمة (عليهم السلام) نجد أنّ مشكلة الأئمة هي مشكلة الأنصار والأعوان. في كربلاء على سبيل المثال، كان الإمام الحسين (عليه السلام) بحاجة إلى الأنصار الذين يقاتلون معه، ويزودون عن وجهه، وعن حرم رسول الله وعن الإسلام. كان بحاجة إلى هذا النوع من المقاتلين الصابرين المؤمنين المخلصين. لذا، كان يصرخ وينادي دائماً: هل من ناصر ينصرنا؟

مشكلة أهل البيت طوال التاريخ لم تكن قلة في وجود المحبّين أو في عدد الشيعة والمبايعين، فهؤلاء جميعاً كانوا قطعاً عدّة كبيرة وهائلة في المراحل كلّها، بل مشكلة أهل البيت (عليهم السلام) ومأساتهم كانت في خذلان

الناصر، أي في الصدق والإخلاص والثبات والاستقامة. وبالعودة إلى التاريخ الحسيني وملحمة عاشوراء، يمكننا أن نستخرج عدّة قيم يمكن العمل عليها لإعداد جيل مهديٍّ ممهّد، ويأتي على رأسها الصبر، والعفة، والقناعة. ويمكن معرفة عدد من القيم الأخرى التي ينبغي العمل عليها إذا تمكنا من استخراج أسباب التخلف عن الفتح، وأهمها عدم معرفة التكليف وترتيب الأولويات، فاندحام هذين الأمرين كان سبباً لتخلف عدد من المسلمين عن الفتح الحسيني، إلى جانب الخوف والجبن.

ويمكن إرجاع الأسباب الحقيقية الكامنة وراء التخلف عن الفتح في ملحمة كربلاء إلى سببين: التعلّق بالدنيا، وعدم الوعي الكافي الذي ترجم من خلال عدم معرفة التكليف الرئيس والعدو الرئيس، وعدم تشخيص أوضاع ذلك الزمان، والخلط بين الوظيفة الرئيسية والوظائف التي هي من الدرجة الثانية والثالثة، كما أنّ بعضهم لم يكونوا عقديين في التحاقهم بالركب الحسيني.

ويمكن تصنيف المتخلفين عن الفتح إلى سبعة أصناف يسمّح لنا كلُّ صنف باكتشاف صفة لا بدّ من العمل عليها لتنشئة جيلٍ مقاوم:

١. الصنف الأول: من التحق من بداية التحرك من مكة، لكنّه

انسحب أثناء الطرق، خصوصاً حين علم الحسين (عليه السلام)

بسقوط الكوفة واستشهاد (مسلم بن عقيل)، وأسباب

الفصل الثالث - المبحث الثاني ٦٩ ■

انسحاب هؤلاء هو ظنهم أنه عليه السلام قادمٌ على بلدٍ استقامت له طاعةُ أهله، فيكونون معه من الظافرين بالمكاسبِ الدنيوية، ولم يكونوا عقائديين في التحاقهم بالركبِ الحسيني، فبعدهما ظهر خلافُ ظنهم فقدوا المسوغَ للالتحاقِ وبالتالي لم يبلغوا الفتح.

٢. الصنفُ الثاني: من دعاه الإمام الحسين عليه السلام لنصرته أثناء توجهِه إلى العراق، فلم يلبَّ دعوةَ النصرِ، إما خذلاً وإمّا مقدِّماً أموراً أخرى على الالتحاقِ المبكرِ. كما حدث مع (الطرماح بن عديّ الطائي) الذي كانت الشخصيةُ الإيمانيةُ الجهاديةُ واضحةً بالنسبةِ إليه، ولكنّه لم يرتبْ أولوياته وذلك يرجع لضعفٍ منسوبٍ الوعي، أو نتيجةَ التعلُّقِ بالدنيا، وكما حدث مع (عبيدِ الله بن الحرِّ الجحفي)، الذي قال للإمام الحسين عليه السلام "والله إني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيدُ في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفةِ ناصرًا، فأنشدك بالله أن تحملني على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لم تسمح بعد الموت...". وكذلك (عمرو المشرقي) وابنُ عمه، تذرّعا بأنّهما كثيرو العيال وفي أيديهم بضائعٌ للناس ويكرهون تضييعَ الأمانة.

٣. الصنفُ الثالث: من اشترك في جزءٍ من القتالِ، وانسحب

قبل شهادة الإمام عليه السلام، كـ (الضحَّاك) الذي اشترط على الإمام أن يقاتل ما دام هناك مقاتلين معه، وبالفعل انصرف حين بقي الإمام وحيداً مع أهل بيته، فحرم نفسه من الفتح العظيم.

٤. الصنف الرابع: وهو يشمل كثيراً من أهل الكوفة الذي كان الخوف والجبن سبب تخلفهم، من بينهم (كما جاء في كتاب أعيان الشيعة) (سليمان بن سرد الخزاعي) الذي ندم ندماً شديداً بعد العاشر من محرم ففقد ثورة التوابين.

٥. الصنف الخامس: لا معك ولا عليك: من هرب من جيش (عمر بن سعد) قبل بدء القتال، وكما حدث مع (هرثمة) الذي قال للإمام عليه السلام: ”لا معك ولا عليك، تركتُ عيلاً..“.

٦. الصنف السادس: من شاهد الملحمة ولم ينصر الإمام الحسين عليه السلام، فوقفوا على التلّ بكون ويقولون: ”اللهم أنزل نصرك“. عاطفة مجردة عن السلوك، ودمعة مجردة عن الصدق العملي.

٧. الصنف السابع: من لم يلحق بالركب الحسيني من بداية التحرك، وقالوا للإمام عليه السلام أنهم متخوفون عليه من هذا الوجه.

كما نستخرج صفة إضافية ظهرت بعد انتهاء معركة كربلاء حين فرّ

■ ٧١ الفصل الثالث - المبحث الثاني

الأطفال على وجوههم، وأخذت القبائل تطارد نسوةً حاسرات. فعمدوا إلى سلب الأطفال الحلي والأقراط من أذنيهم بقسوة، وعندما رأَت طفلةٌ أحدهم يسلبها قرطها ويبكي سألت لماذا يسلبها إن كان يبكي فأجابها: "أخاف أن يأخذه غيري!" هنا تبرز أهمية غرس قيم القناعة والعفة في نفوس الناس، والترويج لذلك إعلاميًا، لا سيّما عند الأطفال.



الفصل الرابع:

مسؤوليتنا في اقتراب الزمن المهدوي

ثمّة تصويبٌ منهجيٌّ في التعاطي مع التمهيد، وهو أنّ المفروض الانشغال بالمسؤوليات لا العلامات، نحن معنيون بمعرفة دورنا وتحمل مسؤوليتنا، وبدل أن نشغل أنفسنا بالتفكير في ما يُشاع من علاماتٍ وهل هي صحيحةٌ أو لا، فلننكّر في المسؤوليات المترتبة علينا. ففي موضوع قيام الكيان الصهيونيّ مثلاً، وكلّ ما قيل عن علاقة ذلك بآخر الزمان وأنه من إحدى العلامات، فسواء سلّمنا بذلك أم لم نسلّم، يبقى الأهمّ أن نعرف تكليفنا اتجاه احتلال الصهاينة لتلك الأرض وتهديد شعبها، فهذا هو المطلوب.

عندما يأتي الإمام عليه السلام لن يغيّر وجه الأرض بمسحة رسول، بل بالقدرة البشرية الهائلة المؤمنة المجاهدة المضحية.

إنّ عدم الظهور يدلّ على أنّ الأرض لم تمهد بعدُ لذلك، فلا بدّ من السعي والعمل على تهيئة الأرضية اللازمة. إنّما يظهر وليّ العصر عليه السلام إذا ما وقف الناس على المعارف القرآنية والإسلامية وأصبحوا مستعدين

لحكومته. إنَّ ظهورَ إمامِ الزمانِ يستدعي شروطاً ومقدماتٍ بعضها بيدِ الله -تعالى-، وبعضها لا بدَّ للإنسانِ من أن يعمل على تحقيقه. وقد بيَّنت هذه الشروط في آياتِ القرآنِ كما في الأحاديث. وما نحن بصددِ هو تعدادُ هذه الشروطِ الإنسانيَّةِ للظهورِ وبيانها. ويمكن بحثُ الشروطِ والمقدماتِ الإنسانيَّةِ للظهورِ من جهتين: الخواصِّ والعوام. فما هو المطلوبُ منَّا؟ ما هي أهمُّ واجباتنا ومسؤولياتنا؟ في ما يأتي عرضٌ موجزٌ لتلك الواجباتِ والمسؤولياتِ، وما جمعناه من أدوارٍ بالاستنادِ إلى عدَّةِ مصادرٍ ومراجعٍ، مع الإشارةِ إلى التقاطعِ بينها، عمدنا إلى التركيزِ على تكاملِ هذه الأدوارِ منعاً للتكرار. ومن من أهمِّ العواملِ التي توطئُ للإمامِ عليه السلام.

المبحث الأول: الحبّ

وردَ في الأحاديثِ عن الإمامِ المهدي (عجل الله فرجه)، مضامين عديدة توضّح مدى حبِّ الإمامِ بقيَّة الله لنا: فيه يدفع الله البلاءَ عنَّا «أنا خاتم الأوصياءِ وبني يدفع الله البلاءَ عن أهلي وشيعتي»^(١). وهو أماننا «إني أمان لأهل الأرض كما إن النجوم أمان لأهل السماء»^(٢).

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٢، ص ٣٠.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار ج ٥٣، ص ١٨٤، ح ١٣، ١٤.

وهو ونورنا وشمسنا ودفء قلوبنا «وأما وجه الانتفاع بي في غيبيتي كالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب». (١) ولولاها «لساخت الأرض بأهلها». (٢)

كما وردت أحاديث تبين إحاطته ﷺ بما يحدث علينا: «إنا نحيط علما بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم»، (٣) «إنا غير مهملين لمراعاتكم». (٤)

وحثّه إيَّانا على القيام بالعمل الصالح «فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا، وليتجنب ما يدينه من كراهيتنا وسخطنا» (٥)، فإن أمرًا

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار ج ٥٣، ص ١٨١، ح ١٠.

٢ - عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت. محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ١، ص ١٧٩.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج ٥٣، ص ١٧٥.

٤ - إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جل جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حم أجله، ويحمى عليه من أدرك أمله، وهي أمانة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون. (محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٧٥).

٥ - آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناحُ البعوضة أرجحُ منه...

يبغته فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»^(١).
والدعاء لفرجنا من جهة ثالثة "أكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج فان ذلك فرجكم"^(٢).

"ولین قلبنا له" و"ولین قلبی لولی أمرک" واجتماع القلوب على طلب الظهور لنساهم في الإسراع بقدوم ذلك الزمان، أي أن يكون هذا المجتمع على قلب واحد، وتجتمع فيه القلوب على طلب تعجيل الظهور، لا أن يكون طلبه فردياً؛ لأن إمام الزمان عليه السلام يقول: "ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم"^(٣).

فعلاقة الولاية ليست علاقة الحاكم والمحكوم، وإنما هي علاقة الحب والقرب والموودة بين الولي وأتباعه. وعندما تحدثت عن الحب فهذا يستلزم بطبيعة الحال الشوق إلى الحبيب، والحب يستلزم السعي إلى اللقاء، ويستلزم إدخال الفرحة على قلب الحبيب. ومن مستلزمات أن من يحب إنساناً يدعو له، ويسلم عليه ولو من بعد، ويتذكره، ويأنس عندما يسمع اسمه أو قصة من قصصه أو أثراً من آثاره. هذا كله نحتاج

١ - محمد بن محمد المفيد: المزار، ص ٩.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج ٥٣، ص ١٨١، ح ١٠.

٣ - الفضل بن الحسن الطبرسي: الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٩٩.

إليه في حياتنا اليومية.

الخطوة الأولى إذن في نقل مفهوم المهدوية للناس أن نبدأ بالحب من خلال إظهار كم يحبهم الإمام عليه السلام، فبذلك تقرب عليهم الطريق ليحبونه بدورهم.

ومن خلال ذكر فضائله ومناقبه عليه السلام ودعوة الناس لمعرفته وخدمته وخدمة آبائه الطاهرين. وإظهار المحبة والولاء له والشوق لرؤية جماله المبارك. كما علينا إظهار دوره، فعندما أعرف دوره أحبه، وتصبح مسؤوليتنا نشر الحب بين الناس ولا سيما حبه، والحث على أنه عندما تجتمع قلوبنا، ونحب بعضنا بعضاً، ونديم المحبة، ووحدة الكلمة، ونبذ التفرق، وتعاون، وتكافل، فيظهر الإمام.

ولا بد من التركيز على كيف نحبه؟ لأنّ الحب على قدر المعرفة: كيف نعرفه؟ وماذا يحب؟ وماذا يكره؟ لا بدّ أن نحصل هذه المعرفة، ونوسّع معرفتنا بإمام زماننا عليه السلام لنزداد حباً له وتعلقاً به، وأن تحتوي أنشطتنا على البعد النظري والتطبيقي معاً: إظهار أنّ طرقنا إليه متعددة: بعضهم من خلال زرع بسمه، ومن خلال صلة الرحم، والحفاظ على الصداقة.. وأنه كلما ازددنا حباً للناس ازددنا قرباً منه. وإنّ الشعور بحضوره يمنح كلّ أعمالنا روحاً، وحياءً، فنمتنع عن القيام بعمل يحزن قلبه، ولا نعمل على الاكتفاء بالأعمال الفردية، بل الجماعية والاجتماعية، تحسين السلوك مثلاً، وإدخال الفرح على قلوب الفقراء.

المبحث الثاني: التربية وبناء الشخصية

التربية تعني إيصال المخلوقات إلى كمالها، سواء من خلال الأسرة، أم المدارس والمؤسسات التعليمية التي تُربي الأطفال على حبِّ صاحب الزمان وانتظاره، أم من خلال التبیین ووسائل الإعلام، فمن أوجب الواجبات في زمن الغيبة الكبرى بناءً أنصار وأتباع مخلصين مضحين. وهي عوامل مهينة لكشف الظالمين وزيف الثقافات الغربية والملحدة والمشركة والكافرة، وهو يساعد في أن يئأس الناس من هؤلاء، ويعلقوا أملهم الوحيد على هذا الخط، وهذا مسؤوليتنا، أن نعمل على رفع الظلم قدر استطاعتنا، فهذا يهين ويحضر الأرضية لمجيء صاحب الزمان.

ومن أهم الوظائف في زمن الغيبة الكبرى، تربية الناس على طاعة الإمام عليه السلام. فيمكن أن يكون الناس متدينين، يصلون صلاة الليل، ويقرؤون القرآن، لكن كيف يمكن أن نضمن عدم انحرافهم كما حصل في معركة النهروان مع الخوارج حين رفعوا السيف في وجه إمامهم عليه السلام؟ حتى اضطرَّ عليه السلام إلى أن يرضخ للتحكيم كي لا يقع القتال في جيشه وتكون الكارثة الكبرى. ولو لم تحصل هذه الحادثة يومها، وقتل (مالك الأستر) (معاوية بن أبي سفيان) لانتهد الفتنة في الأمة، ولتمكن الإمام علي عليه السلام من أن يقيم حكم العدل، ويمتد العدل في التاريخ، لكنهم في اللحظة الحاسمة، خذلوا الإمام، ورفضوا طاعته عليه السلام، ورتبوا على ذلك مظلومية شديدة للإمام علي عليه السلام، وفرضوا عليه التحكيم.

إنَّ ثورة المهديّ الإصلاحية العالمية ليست كسائر الثورات السابقة؛ إذ هي غير محدودة بمنطقة ما بل هي عامّة وللجميع، وتشمل جميع شؤون الحياة والناس، فهي ثورة سياسية، ثقافية، اقتصادية، وخلقية. فهذه الثورة تستدعي منا أن نعدّ العدة لهذه المعركة المصيرية، ونعمل على بناء الشخصية الفردية والمجتمع.

إنَّ بناء الشخصية^(١) - قبل كل شيء - بحاجة إلى عناصر معدّة ذات قيم إنسانية؛ يمكن للفرد أن يتحمّل العبء الثقيل الإصلاحيّ للعالم. وهذا الأمر بحاجة إلى الارتقاء الفكري والعلمي والاستعداد الروحي؛ لتطبيق ذلك المنهج العظيم. فالتحجّر، وضيق النظر، والحسد، والاختلافات غير الجوهرية، وكل نفاق بشكل عام أو تفرقة، كل ذلك لا ينسجم ومكانة المنتظرين الواقعيّين.

والمسألة المهمّة هنا، أنّ المنتظر الواقعي لا يقف موقف المتفرّج، بل يقف في الصفّ الآخر، صفّ الثائرين المصلحين. إنّ المنتظرين بحقّ، عليهم أن يصلحوا حال الآخرين مضافاً إلى إصلاح أحوالهم. فهذا هو الأثر الآخر البناء، الذي يورثه الانتظار لقيام مصلح عالمي، وهذه

١ - خطوات عملية لتربية طفل مهدوي: أبدأ بالحب، قراءة القصص المؤثرة، الدعاء له دائماً، الربط بين الإمام والسلوك اليومي. ومن الأنشطة العملية: أدوات تساعد في غرس المفهوم المهدوي، أناشيد الأطفال، الرسوم والأنشطة اليدوية، الدراما والتمثيل، قراءة الأدعية المهدوية مع التفسير، زيارة الأماكن المباركة.

حكمة الفضائل التي ينالها المنتظرون بحق^(١). مضافاً إلى بناء الشخصية لا بدّ من العمل على تعادل الشخصية، ومن أبرز معالم هذا الجيل التعادل في الشخصية، وهذا سرُّ قوتهم ونفوذهم، تعادلٌ بين الدنيا والآخرة، وتعادلٌ بين القوة والبصيرة. والله -تعالى- يحبُّ هذه الموازنة والتعادل، ويكره الإفراط والتفريط والجنوح إلى اليمين واليسار، يقول تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، ويقول في ما يعلمنا من الدعاء: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

ومن هذه الموازنة، يبرز التعادل بين الخشوع والعبودية لله والتذلل للمؤمنين، والصرامة والقوة مع الكافرين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومنها أيضاً، يبرز التعادل بين الاتكال على الله والجهد والعمل والتخطيط. وهذه الموازنة من الملامح الواضحة في شخصية أنصار الإمام عليه السلام ^(٢). إنَّ دورَ الممهدين إقناع الناس بوجود العالم العادل، جعل الناس يؤمنون

١ - مجموعة مؤلفين: العدلُ المنتظرُ مقالات مَهْدَوِيَّة، ص.ص ٤٤ - ٤٧

٢ - مجموعة مؤلفين: العدلُ المنتظرُ مقالات مَهْدَوِيَّة، ص.ص ٨٨ - ٨٩

به لتؤازره، من خلال الفكر، وإثبات أن الله لا يمكن أن يترك الناس من دون هداية. ومن خلال تجربة مقنعة، تظهر تأثير العلم الإسلامي والعدالة الإسلامية في تحقيق الازدهار.^(١)

وحين يتحرك المجتمع نحو إقامة العدل، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب، تتحرك عجلة الإدارة تحركاً صحيحاً، فيتم استثمار الطبيعة واستعمال مواردها بالنحو الذي يؤدي إلى الازدهار العظيم.^(٢) يظهر الإمام المهدي حين تأس البشرية من كل أفكارها وأطروحاتها التي عجزت عن أن تحقق لها العدالة والطمأنينة. وحين يتحقق أنموذج مصغر لحكومته العالمية في بقعة من الأرض تهفو إليها أفئدة البشر في كل أنحاء العالم.^(٣)

المبحث الثالث: تحمّل المسؤولية

أيّ أن لا ننتظر الأحداث بل أن نصنعها، من خلال وعي السنن الإلهية للتاريخ والمجتمع، وضرورة الإعداد والتمهيد والحركة والعمل ضمن هذه السنن، واستحالة اختراقها. ولذلك يأمر الله تعالى المسلمين بالإعداد لهذه المعركة الفاصلة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

١ - عباس نور الدين: كيف سيتغير العالم؟، ص ٤٦.

٢ - عباس نور الدين: كيف سيتغير العالم؟، ص ٤٩

٣ - عباس نور الدين: كيف سيتغير العالم؟، ص ٤٢

إنَّ الانتظارَ هو الشوقُ للعدالةِ والسعيُّ لتحقيقِها، فيجب الشعورُ
بالمسؤوليةِ تجاهَ المجتمع، فلا يمكنَ تفعيلُ الطاقاتِ وأنتَ غيرُ مبالٍ
بما يجري في العالمِ من ظلمٍ.

من المسؤوليةِ التي تقعُ على عاتقِ المنتظرينَ: إصلاحُ الأرضِ وعمارَتُها،
والإصلاحُ بينَ الناسِ، فالإسلامُ أرادَ للإنسانِ أن يكونَ مسؤولاً أمامَ
نفسه، وأمامَ أقربائه، وأمامَ مجتمعه، وأمامَ البشريةِ.

فلا بدَّ أن نهَيَّ الأرضَ ونمهدَها له ﷺ؛ لأنَّ "المنتظرَ الواقعيَّ هو
الذي يعملُ كلَّ ما بوسعه لأجلِ تهيئةِ الأرضيةِ المناسبةِ لظهوره وبيحثُ
عن أفضلِ ما يُحقِّقُ ذلكَ ولا يكتفي بالأعمالِ البسيطةِ".^(١)

ولا بدَّ أن نعملَ، كالعملِ في طلبِ الرزقِ والعملِ لتحقيقِ النصرِ والعملِ
في طلبِ العلمِ والعملِ في طلبِ الفرجِ.

إن اقترابَ هذا الزمنِ منوطَ بإرادتنا، وحضورِ الإمامِ لا يرتبطُ بالوقتِ بل
بحالاتنا القلبية، يمكنُ في لحظةٍ واحدةٍ أن تحدثَ هذه الحالةُ الدوليةُ
ونسَمعُ نداءَ الإمامِ صاحبِ الزمانِ^(٢)، ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ

١ - عباس نور الدين: كيف سيتغير العالم؟، ص ١٠١.

٢ - علي سائلي: المهدي المنتظر ﷺ معرفة وسلوك، ص ١٢٢

مِنَ وَالٍ ﴿ [الرعد: ١١] . وهذه الآيات تدلّ على وجود ارتباط وعلاقة قريبة بين أعمال الإنسان والنظام التكويني للحياة، فإذا سار الناس وفقاً لأصول الفطرة وقوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهية، وعند فسادهم يفسدون حياتهم^(١) . و«عندما يصبح الاحتياج للمعصوم أكثر من أيّ حاجة أخرى، إحساساً عالمياً ودولياً»^(٢) نقرب من تحقق ذلك الزمن، و«لا يمكن أن تقوم الإدارة السليمة ولا يمكن أن تنزل الحكمة على قوم إلا إذا عدلوا فيما بينهم واستخدموا الأكفاء في أمورهم»^(٣) .

وكما أشرنا في الفصل الأوّل في معرض توضيح معنى المستضعفين الذين يرثون الأرض، فإنّ مجرد كونهم مستضعفين لا يدلّ على الانتصار على الأعداء وحكم الأرض، بل إنّ الإيمان لازمٌ من جهة واكتساب المؤهلات من جهة أخرى، وما دام مستضعفو الأرض لم يحيوا هذين الأصلين فسوف لا يصلون إلى وراثته الأرض وحكمها. فكلّمه الصالحين التي لها معنى واسع، وتتطلب عدة مؤهلات، الأهلية من ناحية التقوى، والعلم والوعي، ومن جهة القدرة والقوة، ومن جانب التدبير والتنظيم والإدراك الاجتماعيّ. أي عندما يهيئ العباد المؤمنون هذه المؤهلات والأرضيات لأنفسهم، فإنّ الله سبحانه يساعدهم ويعينهم ليمرغوا

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١٥، ص ٥٤٣.

٢ - علي سائلي: المهدي المنتظر عليه السلام معرفة وسلوك، ص ١١٨

٣ - عباس نور الدين: كيف سيتغير العالم؟، ص ٥٠.

أنوف المستكبرين في التراب، ويقطعوا أيديهم الملوثة، فلا يحكمون أرضهم بعد، بل تكون للمستضعفين، فيرثونها.

المبحث الرابع: معرفة الإسلام في عمق رسالته وتبينه:

أي إدراك مشروع الرسالة ونشره ومواجهة تشويبه، «ما نحتاج إليه اليوم هو أن نكتشف المزيد من تعاليم الإسلام ونشرها في أوساطنا ونزيل كل ما علق بالإسلام تحت عنوان الإسلام»^(١).

لما رأى الأميركيون والإسرائيليون والاستكبار العالمي الإقبال على الإسلام، أصبحوا بحاجة إلى الوقوف في وجه هذا الأمر وصدّه، فتمّ توظيف داعش وجعلوا العالم كله والفضائيات والإنترنت بخدمة داعش والوهابية والنصرة، فالإعلام اليوم مفتوح على مصراعيه. وجزء من مسؤوليّتنا مواجهة هذا التشويه الذي يسببه هؤلاء، وتقديم النموذج الذي يستقطب الشعوب الأخرى وأفئدتها، والمطلوب تحقيق النجاح في حلّ مشاكل المجتمع الإسلامي، وأن يظهر العلماء علمهم ويرشدوا الجاهلين إلى جواب شبهات المخالفين كي لا يضلّوا وينقذوهم من الحيرة إن وقعوا فيها، فإن عمق موضوع تحقيق دولة صاحب العصر والزمان وجوهره هو إيصال العلاقة الروحية والعقلية

والعاطفية والنفسية، بين الناس والبشرية والله، إلى المستوى العالي والراقي الذي يجب أن تصل إليه. إن هدف بعثة الأنبياء أولاً، هو إيجاد المعرفة وإيجاد الإيمان بالله، بوجوده، وتوحيده، بأسمائه وصفاته، ثم لطبعوه، ويعبدوه، ويخافوه، ويتقوه، ثم إلى أعلى من ذلك فيحبوه، وتصل العلاقة إلى مستوى الحب مع الله سبحانه وتعالى. فمن يريد أن يخرج الإمام المهدي عليه السلام، عليه أن يهيئ الناس لقبول حكم الإسلام، وتقديم صورة مشرقة نقية صافية أصيلة عنه. يجب علينا أن نبعد أنفسنا عن الظلم وتحرك بحزم ضده، أي ظلم كان ومن أي شخص. يجب علينا أن نجعل توجهاتنا نحو إقامة الحدود الإسلامية. وفي مجتمعنا، لا نعطي أي مجال لنشر الأفكار المخالفة للإسلام. علينا بالطرق الصحيحة والمنطقية والمعقولة أن ننشر الفكر الإسلامي.

المبحث الخامس: المقاومة والإصلاح في المجتمع

المنتظرون للمصلح لا بد من أن يكونوا صالحين، من كان ينتظر ضعيفاً لا يجلس في داره غير مبالي. نعم، إن وظيفة الناس في زمن الغيبة إصلاح أنفسهم، والأمر بالمعروف، ودعوة الناس إلى الحق وبث الوعي فيهم^(١).

أولئك الذين يطمحون إلى مرافقة المصلح العالمي، عليهم أن يحملوا روحية الإصلاح في أنفسهم التي تتجلى بشكل واضح في المجتمع من خلال ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إن الأمر بالمعروف هو علامة حب الناس، علامة المسؤولية والشفقة، ورغبة الإنسان في صيانة المجتمع، دليل على الفطرة السليمة الحية. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الانضباط الاجتماعي الذي يقيّد الرغبات والميول الشخصية عندما تتعارض مع مصلحة المجتمع، وهو في الواقع وسيلة لضبط الأفراد غير المبالين. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة الرشيد. توجه لوط عليه السلام لقومه المذنبين بالسؤال: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]. نعم، إن راقبنا أنفسنا من الداخل، وراقبنا الناس من الخارج، وظلل الجميع نظام سياسي وحكومي يدعو إلى الخير ويمنع الشر؛ نصبح خير الأمم، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. إن على المنتظر الحقيقي، التوافق للظهور، الذي يريد للتوحيد أن يعم العالم؛ أن يدرك أن إعلاء كلمة التوحيد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزال «لا إله إلا الله» تنفع من قالها، وترد عنهم العذاب والنقمة، ما لم يستخفوا بحقها. قالوا: يا رسول الله، وما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصي

اللَّهِ، فَلَا يُنْكِرُ، وَلَا يُعَيِّرُ»^(١). عندما يقول النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»^(٢)، وعندما يقول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَام: «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ خُلُقَانِ مِنَ أَخْلَاقِ اللَّهِ، وَمَنْ يَعِينُ عَلَيَّ هَاتَيْنِ الْفَرِيضَتَيْنِ، يُعْطِيهِ اللَّهُ الْعِزَّةَ»^(٣). يجبُ على مَنْ يحكُمونَ الأَرْضَ في ظلِّ الولاية المهدويةِ ويتسَّمونَ العِزَّةَ بذلكَ أن يكونوا من العاملين على إصلاح المجتمع، على حدِّ سواءٍ في عصر الغيبةِ أم في عصر الظهورِ، وذلك عبر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لذا، كان أحدُ العهود التي يأخذُ إمامُ الزمان عَلَيْهِ السَّلَام البيعةَ عليها مع بدء نهضته العالميةِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيثُ يقولُ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْكُمْ تُؤْمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٤). إنَّ أعظمَ مسؤوليَّةٍ يتحمَّلها مُنتظروُ صاحبِ الزمانِ هي أن يَعِدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ النَّاحِيَةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمِنَ نَاحِيَةِ الْعَلَاقَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنَ نَاحِيَةِ

١ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٦٦.

٢ - الميرزا النوري: مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ١٧٩.

٣ - محمد بن علي الصدوق: الخصال، ج ١، ص ٤٢.

٤ - حسن ملايي: شروط الظهور المبارك في القرآن الكريم، ص ٦٩ - ٧٠.

الاستعداد للاشتباك مع الجبابرة.^(١)

إِنَّ السَّبَبَ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكان الهدف من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام): «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر». ومن خطبه (عليه السلام) في كربلاء قوله: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً، فإنني لآرى الموت إلا سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برماً». فلا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والعمل والإعداد والتوطئة، وهذا دور أولئك المصلحون الذين يعدون المجتمع لظهور الإمام (عليه السلام)، والذين يوطئون الأرض، ويمهدونها لثورته الشاملة.

وإعدادُ جيلٍ مؤمنٍ يتولَّى نصرَةَ الإمام (عليه السلام)، والإعدادُ لظهوره وعيًّا، وإيمانًا، وتنظيمًا، وقوَّةً.

إِنَّ الْقِيَامَ بِوَجْهِ الظُّلْمِ وَالِاسْتِكْبَارِ هُوَ الْمَقْدَمَةُ لِلرُّوحَانِيَةِ الْخَالِصَةِ وَالْهَدَايَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ بَحْثٌ عَنِ حُضُورِ اللَّهِ فِي تَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ

ومعرفة تدييره وحكمته وتوجهه نحو أفعاله وتصرفاته. فيجب تشخيص أهل الحق وأهل الباطل واتخاذ الموقف المناسب، ورد في دعاء الندبة أن إمام الزمان يقاتل الفسوق والعدوان والطغيان والتفاق ويزيل كل ذلك ويقضي عليه. وعلينا اليوم أن نتحرك في مجتمعنا بهذا الاتجاه ونقدم. فعن الإمام الصادق عليه السلام «وَمَا يَخْرُجُ إِلَّا فِي أُولِي قُوَّةٍ»^(١).

المقاومة تعتمد على العنصر البشري بالدرجة الأولى، وهي ليست عناوين وشعارات وثياباً عسكرية وبنديّة وخبرة وكفاءة، بل هي بالدرجة الأولى المقاتل والمجاهد. المقاومة تعني «أن يختار الإنسان طريقاً يعدّه الطريق الحقّ والطريق الصحيح ويسير فيه، ولا تستطيع الموانع والعقبات صدّه عن السير في هذا الدرب وإيقاف مسيرته. البعض عندما يواجهون المانع يعودون عن طريقهم وينصرفون عن مواصلة السير، أما البعض فلا، ينظرون ويفكرون ما هو طريق الالتفاف على هذه الصخرة، وما هو السبيل لمواجهة هذه العقبة، فيجدون ذلك الطريق أو يرفعون المانع أو يتخطونه بأسلوب عقلائي»^(٢).

إنّ القيام لله منطلق الأنبياء عليهم السلام وأهل الحق، وأن يكونوا ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ وعلى من هم ضدّ البشريّة، ورحماء فيما بينهم. يشير القرآن

١ - محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٦٥٤.

٢ - كلمة الإمام الخامني في الذكرى الـ ٣٠ لرحيل الإمام الخميني؛

إلى أن أصحاب الكهف -الذين كانوا على مستوى من العقل والصدق- كانوا يعيشون في بيئة فاسدة وزمان شاعت فيه عبادة الأصنام والكفر، وكانت هناك حكومة ظالمة تحمي مظاهر الشرك والكفر والانحراف. فأحسوا بالفساد وقرروا القيام ضد هذا المجتمع، وفي حال عدم تمكنهم من المواجهة والتغيير فإنهم يهجرون هذا المجتمع والمحيط الفاسد. لذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا...﴾ [الكهف: ١٤]. فإذا عبدنا غيره: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

إن تحقق الوعود الإلهية ليس معناه تجاهل السنن، فالوعد الإلهي بالنصر مشروط باتباع التعاليم. في المنطق القرآني يجب أن نقوم بطرد العدو، لا أن نتنظر حتى يخرج من تلقاء نفسه، ومن غير المنطقي توقع النصر من دون جهاد، لذا لا بد من الجسارة والإقدام وطلب المعونة من أجل طرد العدو. والقرآن الكريم يحمل على بني إسرائيل لقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]^(١).

إن الجهاد هي المفردة القرآنية للمقاومة، الجهاد في الإسلام هو من أجل محاربة الطواغيت وتحطيم النظم التعسفية التي تسلب الشعوب

حقَّ التفكيرِ والرأي، أو من أجلِ تحطيمِ أركانِ الشركِ والخرافة، والتي تشكَّلُ وباءً، وبالتالي فإنَّ السكوتَ عليها يعتبرُ ظلمًا بحقِّ الإنسانية. إنَّ هدفَ الحروبِ الإسلاميَّةِ الدفاعَ عن الحقِّ عبر استئصالِ العناصرِ الفاسدةِ وتحريرِ الأفكارِ وإنقاذِ البشرِ من الخرافاتِ والأوهامِ. إنَّ مواجهةَ الظلمِ والدفاعَ عن المظلومِ وعدمِ التعاونِ مع الظالمِ وعدمِ مساومته أمرٌ يستحسنه كلُّ عقلاءِ العالمِ، ويرى بعضُ المنظرينَ أنَّ المقاومةَ أمرٌ فطريٌّ، وأنَّ كلَّ مولودٍ يولدُ على فطرةٍ المقاومةِ، والفطرةُ ثابتةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ. فالأصلُ هو المقاومةُ، والاستسلامُ هو الخروجُ عن الأصلِ والإنسانيةِ، ولكن بما أنَّ الحربَ الدائرةَ حاليًا هي حربٌ على الفطرةِ فأضحى لا بدَّ من إعادةِ توضيحِ البديهيَّاتِ ومواجهةِ التحريفِ والحرفِ والتضليلِ والتعتيمِ. إنَّ مسؤوليَّةَ المعنيينَ بالشأنِ التربويِّ لا سيَّما وسائلَ الإعلامِ أو الحكوماتِ تعزيزَ التربيةِ الفطريَّةِ المقاومةِ لدى الإنسانِ وتوجيهها وصونها في مقابلِ الهجماتِ التي تخدشُ الفطرةَ السليمةَ وتحاولُ جعلَ الخنوعِ والاستسلامِ والرضوخِ أمامِ الظلمِ والهيمنةِ أمرًا طبيعيًّا وواقعيًّا لا بدَّ منه.

المبحث السادس: الدعاء يزيد الشوق

إنَّ التواصلَ الروحيَّ والنفسيَّ، يجعلُ الحبَّ جيَّاشًا، الدعاءُ لصاحبِ الزمانِ عليه السلام بالحفظِ هو من أعظمِ ما يمكنُ للإنسانِ أن يطلبه. جاء في

رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يردّ القضاء إلا الدعاء»، وفي دعاء الافتتاح الذي نقرأه في الليالي الرمضانية، نقرأ «اللهم إنا نرغبُ إليك في دولة كريمة»^(١)

لا بدّ أن نقرأها من أعماق قلوبنا وبالضراعة الكاملة. لتكون أرواحنا في انتظار المهديّ وتحرك قوانا الجسمانيّة في هذا الطريق. وأيضاً أن ندعو الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء وفي قنوت الصلاة «اللهم كن لوليّك الحجّة ابن الحسن» لتعجيل فرج الإمام عليه السلام. والدعاء طلباً لمعرفة من الله - عزّ وجلّ - معرفة صفاته، والعزم على نصرته في أيّ حال كان. فيقرأ هذا الدعاء: «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تُعرفني نفسك لم أعرف نبيك. اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تُعرفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللهم عرفني حجّتك فإنك إن لم تُعرفني حجّتك ضللت عن ديني». والمدامّة على قراءة هذا الدعاء: «يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». فلتعزّز التواصل نقرأ دعاء الفرج والندبة والعهد، والسلام الكامل، كدعاء الاستغاثة بالإمام الحجّة عليه السلام.

إنّ الدعاء هو جزءٌ من عمليّة الانتظار، لكنه يكون بالتوازي مع أداء المسؤولية والدور والتكليف وليس بديلاً عنه، فالدعاء الذي ينفَعُ

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٣، ص ٤٢٤.

هو دعاء المجاهدين والعاملين والصابرين والمضححين والمتحملين للمسؤولية، دعاء الذين يمهدون الأرض، ويقفون في وجه الطواغيت والظلم والفساد. أي أن نكون من أهل الانتظار الواعي والحكيم والحقيقي والصابر والمحتسب والعالم والمجاهد والمضحّي والممهد الذي يصنع الإنجازات، ويصنع الأحداث ويهيئ الأرض، ويتنظر. هذا الذي ينتظره الإمام عليه السلام من خلال فعل الجهاد والشهادة والصبر والاحتساب واليقين. ثمّة آيات في القرآن الكريم تتحدث عن ضرورة وجود الاستعدادات واللياقات الإنسانية لنزول الرحمات الإلهية وظهورها وتحققها؛ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. الدعاء إنّما يكون إلى جانب السعي والجدّ وليس بديلاً عنهما. لقد ذكرت الروايات أنّ دعاء الداعين بلا عمل ولا سعي غير مجاب. وهذه مسألة لها جذورها القرآنية؛ فحينما نرجع إلى هذا الكتاب السماوي في مسألة شروط استجابة الدعاء؛ نجد أنّه ذكر الإيمان والعمل الصالح كشرطين من شروط الاستجابة، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٦]^(١).

المبحث السابع: المحافظة على لين القلب

ألا يقسو قلبك بسبب طول زمان الغيبة بل يبقى طرياً بذكر مولاه (عليه السلام).
أما ما يرقق وينقي القلب فأمور:

١. الحضور في مجالس ذكر بقية الله ومجالس قراءة القرآن

بشرط التأمل والتفكير في المعاني.

٢. مجالسة العلماء العاملين وأهل الطاعات والأشخاص الذين

هم دائماً في ذكر الآخرة.

٣. زيارة القبور، كثرة ذكر الموت، مسح رؤوس اليتامى،

والحب والإحسان إليهم.

ومما يسبب قساوة القلب:

١. نوعية الغذاء الفكري والمعنوي الذي نحصله: ترك ذكر الله

-جل شأنه- وترك مجالس أهل العلم، أي ترك الحضور في

المجالس التي ترقق وتنقي القلب والحاوية على ذكر أحكام

الدين وأحاديث ومواعظ الأئمة الطاهرين وشؤون صاحب

الزمان (عليه السلام) وآيات القرآن الكريم، وخصوصاً إذا كان

المتحدث مطابق عمله قوله بما يجعل لقوله تأثيراً خاصاً في

قلب المستمع.

٢. مجالسة أهل الدنيا، وكثرة زيارتهم، ومصاحبة أهل المعاصي

والفسق، وكثرة الحديث في ما لا ينفع في الآخرة، والاستماع

للكلام غير النافع في الآخرة.
٣. نوعيةُ الغذاءِ المادّي: أكلُ الطعامِ المحرّم، وشربُ كلِّ شرابٍ حرامٍ، والأكلُ على الشبع، كثرةُ التفكيرِ بالأكلِ والشربِ.

المبحث الثامن: التزكية والتطهير

ومن الأمور التي تساعد في تعجيلِ الفرج: تجنّبُ المعاصي والآثام، وتطهيرُ القلبِ وتزكيةُ النفسِ من التعلّقِ بالدنيا، والتوبةُ الحقيقيةُ من الذنوبِ وتركُ المعاصي.

علينا أن نكون شديدي المراقبة لأنفسنا وأقوالنا وأعمالنا، كيف نتكلّم مع الزوجة والأولاد والجيران والناس.

وحين يصبحُ المجتمعُ بيئةً صالحةً، أناسه أهلُ عبادةٍ وصلاةٍ وفعلٍ خيرٍ، يهتمّون بمساكينهم وفقراءهم وأيتامهم، وهم أهلُ جهادٍ وأهلُ إرادةٍ وأهلُ عزمٍ وأهلُ نصرَةٍ وأهلُ الوقوفِ مع الحقِّ حتّى لو أدّى ذلك إلى تضحياتٍ جسامٍ، نستحقُّ أن يكون وقتُ الفرج قريباً.

وأن يكون لدينا الأملُ وأن نثقُ ويكون لدينا اليقينُ بهذا الوعدِ الإلهيّ؛ لأنّ الله -تعالى- لا يخلفُ الميعادَ.

أن نتطلّع إلى هذا المستقبلِ بأملٍ، وأن نترقّب، ونتنظر، ونتربّصَ بهذا المستقبلِ بكلِّ آفاقه الآتية.

المميّزاتُ المهمّةُ للمعتقداتِ الإسلاميّة، وبالأخصّ في نظرةِ الشيعةِ

للإسلام، هي عدمُ التشاؤم؛ فزمنُ الظلمِ والجورِ، والحربِ والصراعِ، والاختلافِ، والفسادِ الخُلقيِّ، والظلمةِ والسوادِ، وزمنٌ مؤقتٌ، والعاقبةُ نورٌ وعدالةٌ^(١).

إنَّ الإمامَ المهديَّ كنزُ الأملِ الذي تمتلكه البشريَّةُ، عندما يكون هذا الأملُ في قلبِ الإنسانِ، ستصبحُ كلُّ استعراضاتِ القوَّةِ التي يقومُ بها الجبارةُ فارغةً وخاويةً ويستهنئُ بحضورهم القويِّ في الساحاتِ الدوليَّةِ.^(٢)

إنَّ المجتمعَ المهديَّ لا يوجد فيه أي علامة للظلمِ والطغيانِ والعدوانِ، والمجتمعُ الَّذي تصل فيه المعرفةُ الدينيَّةُ والمعرفةُ العلميَّةُ للبشرِ إلى حدِّها الأعلى، والمجتمعُ الَّذي تبرز فيه كلُّ هذه البركاتِ والنعمِ والفضائلِ والجماليَّاتِ وتكون في يدِ الإنسانِ. وفي النهاية، المجتمعُ الَّذي تكون فيه التقوى والفضيلةُ والإيثارُ والأخوةُ والعطفُ والانسجامُ أصلاً ومحوراً.

إنَّ علاماتِ ظهورِ الإمامِ نجدها في واقعنا السياسيِّ والحضاريِّ المعاصرِ، وفي وعينا ومقاومتنا، ووحدةِ كلمتنا، وانسجامِنا السياسيِّ، وتضحياتنا وقدراتنا الحركيَّةِ والسياسيَّةِ والإعلاميَّةِ. فنحن نستطيعُ أن

١ - مرتضى مطهري، العدل الإلهي، ص ١٧٧.

٢ - علي الخامنئي: نظرية الانتظار، ص ١٣٢.

نوطىَ لظهور الإمام، بالعمل، والحركة، ووحدة الكلمة، والانسجام، والعتاء، والتضحية، والأمر بالمعروف، وبإمكاننا أن نؤخر ذلك، بالتواكل والغياب عن ساحة العمل، والتهرب من مواجهة المسؤوليات^(١). إذن، إن معرفة التكليف أهم الأمور في زمن غيبة الإمام عليه السلام، ومعرفة إمام الزمان عليه السلام ومعرفة أهدافه، وتعريف الآخرين على الإمام عليه السلام وقيامه العالمي، والتمهيد للظهور. والعمل على جلب رضى إمام الزمان عليه السلام من خلال القيام بالأعمال الصالحة والارتباط الروحي به. والتصديق عنه والدعاء لحفظه، ودفع الخمس والسهم الخاص بإمام الزمان عليه السلام. والعمل بالتكليف وأداء الواجبات، والابتعاد عن الذنوب والمحرمات^(٢).

وعلىنا أن نثقف أنفسنا بالثقافة القرآنية عموماً ولاسيما الثقافة القرآنية المزدوجة التي تجمع بين (الوراثة) و(الانتظار) كما أسلفنا في الحديث، إن كل آية لقاء! «في عصر الغيبة عندما تفتقدون إمامكم ولا تعرفون أين تجدوه اقرؤوا القرآن، كل آية هي لقاء بالإمام الحجة عليه السلام»^(٣).

١ - الشيخ محمد مهدي الأصفي: الانتظار الموجه (دراسة في علاقة الانتظار بالحركة وفي علاقة الحركة بالانتظار)

٢ - حسن ملاي: شروط الظهور المبارك في القرآن الكريم، ص. ٣٣ - ٣٤

٣ - من إصدار «قطرة»: ملامح العالم في زمن المهدي المخلص عليه السلام فيديو

للناشئة والأطفال، إعداد منال هرموش وبتول زين الدين، ٢٠٢٤

عنه
عليه السلام

ملحق: قصة وعمل فني عن الإمام المهدي

يومٌ في زمن الإمام المهدي: قصةٌ خياليّةٌ على لسانِ طفلٍ يعيش بعد ظهور الإمام المهديّ عليه السلام.

اسمي مبادرٌ، وعمري عشرُ سنواتٍ. أعيش في مدينةٍ صغيرةٍ مليئةٍ بالحدائق والمكتبات والمدارس الجميلة. في هذا الصباح، أيقظتني أمي وقالت لي: «هيا يا مبادرٌ، لا تنسَ أننا سنذهب اليوم إلى مدينة الكوفة لحضور خطاب الإمام المهدي!»

قفزت من سريري بسرعة. لبست ثيابي البيضاء، وحملت حقيبتني التي فيها دفترُ الأسئلة التي أعدتها لأطرحها على العلماء في مجلس الإمام. خرجنا من البيت، لا سيارات ولا ضوضاء، فقط قطاراتٌ كهربائيّةٌ هادئةٌ، وحدائقٌ على الجانبين، والناسُ يتسمون لبعضهم.

وصلنا إلى الكوفة. نعم، الكوفة أصبحت عاصمة العالم؛ لأن الإمام المهديّ يسكن فيها. رأيتُ الآلاف من الناس، من كلّ الجنسيات، كلهم جاؤوا يستمعون لكلام الإمام.

جلسنا، ثم خرج الإمام. كان نورٌ وجهه يملأ المكان، صوته هادئٌ لكنه قويٌّ، كأنه يدخل القلب مباشرةً. تحدّث عن العدل، عن العلم، عن كيف نبني الأرض لنرضي الله.

بعد الخطاب، ذهبت مع أبي إلى "مدرسة الأنصار". هناك نتعلّم

كلّ شيءٍ: القرآن، والطبّ، والفلك، والزراعة، والبرمجة، حتى كيف نتحدث بعدلٍ ونفكر بعقلٍ.

وفي المساء، عدنا إلى بيتنا. وقبل النوم، قلت لأمي: «أشعر كأني في الجنة». فضحكت وقالت: «هذا هو زمنُ الإمامِ يا مبادرُ... زمنُ النورِ والسلامِ».

أغمضت عيني، وفي قلبي دعاءٌ لكلِّ الأطفالِ أن يعيشوا هذا اليوم... قريباً، إن شاء اللهُ.

خاتمة

حاولنا في هذا الكتاب أن نسلك في رحلةٍ فكريةٍ وعقديةٍ استعرضنا فيها أبعادَ «مسؤوليتنا في تهيئة العالم للمخلص»؛ الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه. إنها رحلةٌ لا تنتهي عند قراءة الكلمات، بل تبدأ منها لتمتد إلى واقع الحياة، وإلى صميم الوجود الإنساني الفردي والجماعي.

لقد أكدنا أنّ قضية المهودية ليست حلماً غيبياً ينتظر التحقق بمعجزة مفاجئة، بل هي وعدٌ إلهيٌّ مرتبطٌ بسُننِ إلهيةٍ تحكّم حركة التاريخ والمجتمع. وهي قضيةٌ تجمع الإنسانية على اختلاف دياناتها وثقافاتِها حولَ فكرة المنقذ والمخلص الذي سيملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت

ظلمًا وجورًا. وهذا الإجماع نفسه يضعُ على عاتقنا، بصفتنا منتظرين، عبءَ التحضيرِ والتمهيدِ.

إنَّ الانتظارَ الحقيقيَّ الذي نادى به النصوصُ الدينية ليس حالةً سلبيةً من التواكلِ والقيودِ، بل هو انتظارٌ حركيٌّ، يمتلئُ شوقًا للعدالةِ، ويترجم هذا الشوقَ إلى عملٍ دؤوبٍ وإعدادٍ مستمرٍّ. إنه يشبه تمامًا المزارعَ الذي ينتظرُ الحصادَ؛ فهو لا ينتظرُ بيدٍ مطوية، بل يحرقُ الأرضَ ويزرعُ البذورَ ويسقيها ويحميها من الآفاتِ، وهو واثقٌ بأن وعدَ الله بالإنباتِ سيحققُ. هكذا يجب أن يكونَ حالُّنا: ننتظرُ الإمامَ عليه السلام بالعملِ على تهيئةِ أنفسنا ومجتمعاتنا لاستقبالِ حكومتهِ العالميةِ.

إنَّ الدروسَ المستفادةَ من تاريخِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، وخصوصًا ملحمةَ كربلاءَ، تُظهرُ أن المشكلةَ الأساسَ لم تكنَ أبدًا في قلةِ المحبينِ أو الأتباعِ، بل في قلةِ الأنصارِ الثابتينِ الصادقينِ المستعدينِ للتضحيةِ. لذلك، فإن المسؤوليةَ المركزيةَ في عصرِ الغيبةِ تتمثلُ في بناءِ الإنسانِ الممهّدِ؛ الإنسانَ المتوازنَ في شخصيتهِ، والممتلئُ حبًّا للإمامِ ولهدي القرآنِ، والمزودُّ بالعلمِ النافعِ والإيمانِ الراسخِ، والمتحلِّي بالأخلاقِ الفاضلةِ وروحِ المسؤوليةِ الاجتماعيةِ.

إنَّ غيابَ الإمامِ عليه السلام اليومَ هو اختبارٌ لصدقِ إيماننا واستعدادنا. وهو يضعُّنا أمامَ خيارين: إما أن نكونَ من المتكلمينَ الذين ينتظرونَ حدوثَ المعجزةِ دونَ حراكٍ، وإما أن نكونَ من المتوكِّلينَ العاملينَ المجاهدينَ

الذين يسعون ويعدّون العدة ثم يتوكلون على الله في تحقيق وعده. الخيار الأول يعني تأخير الفرج، بينما الخيار الثاني هو الذي يعجله ويساهم في صناعة أسبابه.

ولن يتحقق هذا إلا بتبني مشروع شامل للتربية والبناء، يبدأ من الفرد في بيته، ويمر عبر المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام، ويهدف إلى خلق تيار اجتماعي واسع، تلتقي فيه القلوب على حب الإمام عليه السلام، وتتوحد فيه الإرادات على نصرته قضيته، وتتعاون فيه الجهود على نشر قيم العدل والإصلاح ومقاومة الظلم بكل أشكاله.

هذا الكتاب سعيانا أن يكون دليلاً عملياً لكل من يريد أن يكون جزءاً من هذا المشروع الكبير. ليكن حافزاً لنا جميعاً لأن نعيد النظر في مفهوم انتظارنا، ولنعمل على أن نكون - بحق - من أولئك الذين يُحيون بذكر الإمام قلوباً ميتة، وينشرون بسلوكهم نور الأمل في واقع يغلب عليه الظلام، ويهيئون بأنفسهم وأعمالهم الأرضية الخصبة لظهور من يحيي الأرض بعد موتها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [النور: ٥٥].

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- عباس القمي: مفاتيح الجنان، مكتبة الفقيه، الكويت، لا ط، ١٤٢٥هـ.
- الكتاب المقدّس، المزامير، الترجمة الفارسية للكتب العهد العتيق المنشورة (سنة ١٨٧٨ تحت إشراف الكنيسة المعروفة بمجمع الكتب البريطانية المقدّسة للخارجيين).
- حسن ملايي: "شروط الظهور المبارك في القرآن الكريم"، مجلة بقيّة الله، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، لبنان، ط ١، ٢٠٢٥م.
- حسن زماني: "عصر الظهور في ضوء القرآن الكريم"، مجلة بقيّة الله بالتعاون مع مركز المعارف للترجمة، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، بيروت، ط ١، ٢٠٢٤م.
- حسن نصر الله: قبسات مهدويّة، مجموعة من الخطابات ألقاها سماحة السيّد حسن نصر الله، إعداد مجلة بقيّة الله، لبنان، ط ١، ٢٠٢١م.
- عبّاس نور الدين: كيف سينغيّر العالم؟، بيت الكاتب للطباعة والنشر، لبنان، ط ١، ٢٠١٧م.
- الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني: وظيفة الأنام في زمن غيبة

■ ١٠٥ لائحة المصادر والمراجع

- الإمام، دار المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان، ط ١٢، ٢٠١٢ م
- مجموعة مؤلفين: العَدْلُ الْمُنتَظَرُ مقالات مَهْدَوِيَّة، دار المعارف الإسلامية الثقافية، مجلة بَقِيَّةِ اللَّهِ، لبنان، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- (الكتاب عبارة عن أربع مقالات: الأولى للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والثانية للشيخ محمد مهدي الآصفي، والثالثة والرابعة للشيخ الشهيد مرتضى مطهري).
- حسين زين الدين: خليفة الله: المنهج السنني في قراءة حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، مركز الرضوان للتأليف والنشر، لبنان، ط ١، ٢٠١٥ م.
- السيد علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، مجموعة خطابات جمعتها جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة، لبنان، ط ١، ٢٠١٣ م
- السيد علي الخامنئي: نظرية الانتظار، مجموعة خطابات جمعتها دار المودّة، بيروت، ط ٢، ٢٠٢٤.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الولاة، بيروت، لا ط، ٢٠١٩.
- محسن قرائتي: تفسير النور، دار المؤرّخ العربي، ط ٣، بيروت، ٢٠٢٠.
- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد

- المعتزلي: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
- محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، دار الأعلمي، لبنان، ط ١، ١٩٩٧.
 - فخر الدين الرازي: التفسير الكبير الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
 - أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، في تفسير القرآن، لا ط، ٢٠١٣ م.
 - علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ: ٦٥، الطبعة الأولى، قم/إيران، سنة ١٤١٨ هـ.
 - صلاح الدين الشامي: إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الظاهرين، الناشر سيرة الآل والأصحاب، الكويت، ط ١، ٢٠٢٢.
 - أحمد زيني دحلان: كتاب الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، دار صادر، بيروت لا ط، لا ت.
 - مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، لا ط، ٢٠١٩.
 - ابن حجر الهيتمي: كتاب الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مكتبة القاهرة، مصر، لا ط، ١٣٨٥ هـ.

لائحة المصادر والمراجع ١٠٧ ■

- عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي: تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، دار الهادي، لبنان، ٢٠١٤.
- الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي: كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، لا ط، ٢٠١٣ م.
- السيد ابن طاووس: إقبال الأعمال، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، تحقيق تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، إيران، ط ٥، ١٣٦٣ ش.
- الشيخ المفيد: المزار، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، ط ٢، سنة الطبع: ١٩٩٣.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ط ٢، ١٩٨٣.
- حسين البروجردي: جامع أحاديث الشيعة، لا ط، ١٣٩٩ م.
- القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ابن الأشعث السجستاني: صحيح سنن أبي داود، ج ٢، تحقيق: تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.
- الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

- الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، لا ط، ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش.
- وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، الجزء: ٥، تحقيق وتصحيح وتذييل: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط ٥، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، لا ط، ١٣٨٧.
- كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: حسين العايش، مهر - قم، الناشر: فارس حسون كريم، لا ط، لا ت.
- مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، الجزء: ١٢، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م.
- بتول زين الدين: "سكوكع، دحنون، والزيتون: حكاية معتقل بحياكة مطرّزات"، كتاب يؤرّخ للأسيرات اللبنايّات في معتقل الخيام في فترة الاحتلال الإسرائيلي للبنان، إنتاج الرابطة اللبنانية الثقافية، دار الولاء، لبنان، ط ١، ٢٠٢٣.
- بتول زين الدين: الحياة والموت في عاشوراء: "إلاّ قنطرة، إلاّ سعادة، إلاّ جميلاً"، ورقة بحثيّة قدّمت للمؤتمر الدولي الأوّل: "فلنحييّه حياة طيّبة" الذي أقامته العتبة العبّاسية في ١ و٢ آذار ٢٠٢٤، ونشرت في كتاب.

■ ١٠٩ لائحة المصادر والمراجع

- بتول زين الدين ومنال هرموش: قَطْرَةٌ، ملامح العالم في زمن المهدي المخلّص (عليه السلام) فيديو للناشئة والأطفال، دار "حراء، أمّ الكتاب"، ٢٠٢٤ م.
- <https://www.aljazeera.net/programs/networks/2024/12//>

الفهرس

٥	مقدمة
١١	الفصل الأول إجماعٌ على المخلصِ
١٣	المبحثُ الأولُ المخلصُ وعدُّ اللهِ وإجماعُ كلِّ الدياناتِ
١٣	أولاً: الأرضُ يرثُها عبَادِي الصالحون
١٥	ثانياً: من هم المستضعفون ومن هم المستكبرون؟! ..
١٨	ثالثاً: ثلاثُ بشاراتٍ ..
٢٢	رابعاً: الودعاء يرثون الأرض ..
٢٥	خامساً: لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ..
٣١	المبحثُ الثاني المعنى الحقيقي لانتظار الفرج: ليس سكوناً!
٣٨	الفصل الثاني خصائص المجتمع المهدوي
٤١	المبحثُ الأولُ خصائصُ المجتمعِ المهدويِّ

٤٤ أولاً: عدم الظلم والتمييز
٤٤ ثانياً: ارتقاء الفكر
٤٥ ثالثاً: انبعاث الطاقات
٤٦ رابعاً: الجنة الإنسانية
٤٨ المبحث الثاني المعنى الحقيقي للحياة في الإسلام
٤٩ أولاً: لِمَا يُحْيِيكُمْ
٥٠ ثانياً: «لينذر من كان حياً»
٥٢ ثالثاً: ويحيي ميت الكتاب
٥٣ رابعاً: ربّاني آياته
٥٥ خامساً: ويحيي الإنسان
٥٨ سادساً: محورية القرآن في الدولة الكريمة للإمام المهديّ
٦١ الفصل الثالث اعتبار من التاريخ الحسيني
٦٤ المبحث الأوّل الإمامان الحسين والمهديّ <small>عليه السلام</small> اختلاف التكليف
٦٧ المبحث الثاني أسباب عدم نصرّة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> والتمهيد

٧٣	الفصلُ الرابعُ مسؤوليتنا في اقتراب الزمن المهدويّ
٧٦	المبحث الأول الحبّ
٨٠	المبحث الثاني التربية وبناء الشخصية
٨٣	المبحث الثالث تحمل المسؤولية
٨٦	المبحث الرابع معرفة الإسلام في عمق رسالته وتبيينه
٨٧	المبحث الخامس المقاومة والإصلاح في المجتمع
٩٣	المبحث السادس الدعاء يزيد الشوق
٩٦	المبحث السابع المحافظة على لين القلب
٩٧	المبحث الثامن التركيزية والتطهير

- ١٠٠ ملحق
- ١٠١ قصة وعمل فنّي عن الإمام المهدي عليه السلام
- ١٠٤ خاتمة
- ١٠٤ لائحة المصادر والمراجع



مركزُ برائثا للدراساتِ والبُحوثِ

مركزُ بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والإنساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصاً في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والاجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة؛ سعياً للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

يقدم كتاب «مسؤوليتنا في تهيئة العالم للمخلص» للدكتورة (بتول زين الدين) رؤية فكرية وروحية تنقل فكرة الانتظار من هامش العقيدة إلى قلب الفعل الإنساني. فالانتظار في هذا العمل هو مشروع حضاري يقوم على الوعي والمسؤولية، وعلى إدراك أن الظهور الإلهي يتحقق بتهيئة داخلية وخارجية يشارك فيها المؤمنون بقلوبهم وسلوكهم وعملهم اليومي. يضع الكتاب الإنسان أمام سؤال الوجود والمصير: هل ينتظر المخلص بوصفه منقذًا خارجيًا، أم يسهم في صنع عالم يستحق ظهوره؟ من هنا تتخذ الكاتبة من المفهوم المهدوي أفقًا لبناء الذات والمجتمع على قيم العدل والإصلاح، وتؤكد أن الإيمان بالمخلص لا ينفصل عن مواجهة الظلم وتحمل المسؤولية في واقع يعج بالاستكبار واللامبالاة. تندفق صفحات الكتاب بلغة بسيطة تجمع بين البعد العقائدي والتحليل الواقعي، لتبين أن المشروع المهدوي هو نداء للحياة: أن نبني في داخلنا الإنسان الذي يمكن أن يقف بين يدي الإمام المنتظر.

♦ الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز ♦

